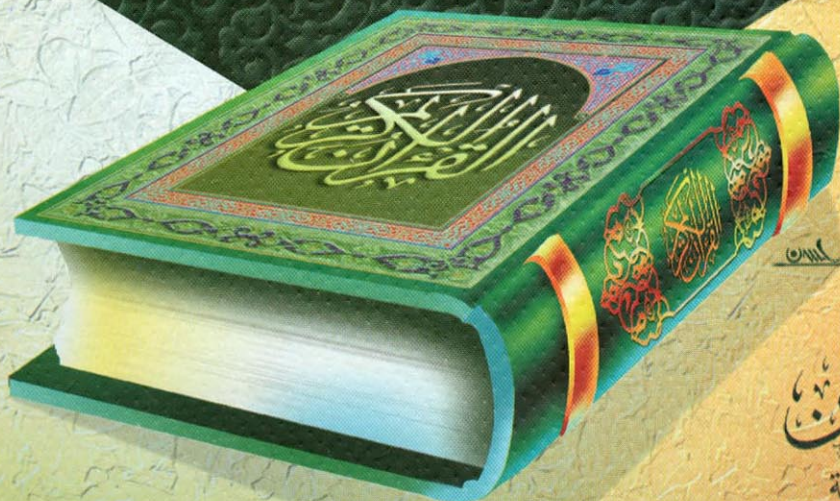
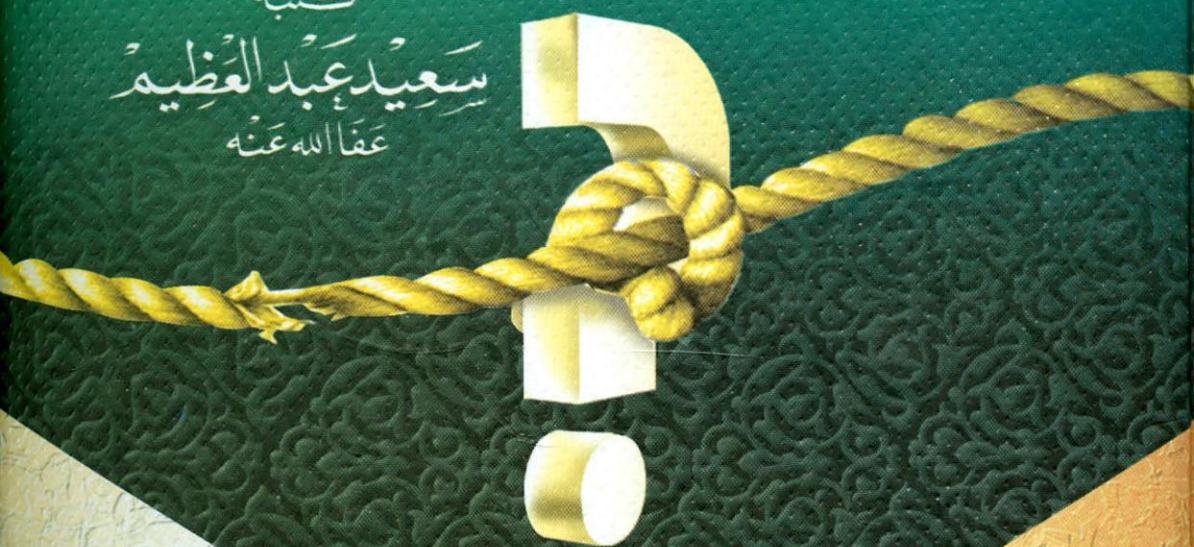


كَيْفَ نَحْلُ مَسْأَلَتَنَا

كَتَبَهُ
سَعِيدُ عَبْدِ الْعُظِيمِ
عَفَا اللَّهُ عَنْهُ

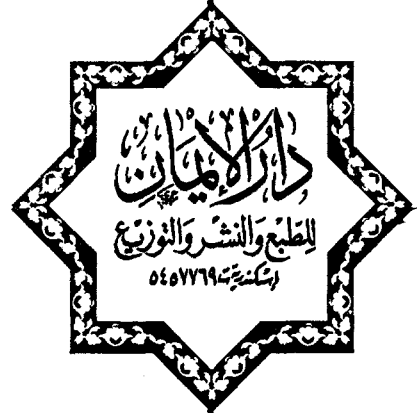


دار الأمان
الإسلامية ندرية

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا

كَيْفَ نَحْلُ مَسَاكِلَنَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



حقوق الطبع محفوظة



كيف نحل مشاكلنا ؟

كيف نحل مشاكلنا ؟

مقدمة :

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن واله ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٠٢) ﴿ (١) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (١) ﴿ (٢) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٧١) ﴿ (٣) .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .
مشاكلنا كثيرة وعديدة ، تحدث على مستوى الفرد والجماعة والدولة ، وهي متفاوتة زماناً ومكاناً وشخصاً ، تختلف وتتغير أسبابها ودوافعها ، وبالتالي فإن أساليب علاجها ينبغي أن تتكافأ مع صورها وأشكالها .

(١) سورة آل عمران الآية « ١٠٢ » .

(٢) سورة النساء الآية « ١ » .

(٣) سورة الأحزاب الآية « ٧٠ ، ٧١ » .

ومن المشاكل ما هو صحى أو مالى أو أسرى يتعلق بمشاكل الأزواج والأولاد ، فالبعض مثير للمشاكل ، ومنها ما يتعلق بسياسة أو اقتصاد أو اجتماع أو أخلاق أو حرب أو سلم ... والعصر الذى نعيش فيه هو عصر الحقوق والقلق والتفسيخ والجريمة ... مما أحدث أزمات ومشاكل عديدة هنا وهناك ، وبينما انشغل البعض بعلاج المشاكل وإنشاء إدارات للأزمات ومراكز للبحوث ... انصرف آخرون لعدم قدرتهم على مواجهة المشكلة ولجأ فريق إلى المخدرات والخمر هروباً ونسياناً .

أن المشاكل التى تعترضنا بعضها كبار وبعضها صغار ، وقد يتولد بعضها من بعض ، ويؤثر بعضها فى البعض ، وهى فى الأعم الأغلب مسائل مؤرقة تستدعى تدخلاً وحلاً لإزالة الإشكال والإلتباس ، وقد نقيم الدنيا ولا نقعدها من أجل مشكلة خاصة وأحياناً تكون مفتعلة ، ونتأسى ونغفل ما هو أعظم منها ، أو نكون كمن ينشغل بالصداع مع نسيان أصل المرض الذى ولد هذا الصداع .

وواهم من يظن أنه حلّال العقد أو يعتقد ذلك فى غيره ، وواهم أيضاً من يتصور حل مشكلة دون الإستعانة بخالق الأرض والسموات أو دون الرجوع لمنهج العبودية الذى ارتضاه سبحانه للعالمين .

فالبشر يعانون من نقص وقصور ، وقد زادت الجهالة حدة ، والكثرة لا تدرى شيئاً عن شئ ، ولذلك عبر أحدهم عن هذه المعاناة فقال :

جئت من أين لا أدرى ولقد أبصرت قدامى طريقاً فمشيت فهو لا يدرى من خلقه ولماذا خلق وإلى أين المصير ؟ وهذه مشكلة عندما تنطمس الفطرة ويغيب العقل وتنطفئ البصيرة ، ويتباعد الناس عن

الوحي المنزل ، ﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (٧٢) ﴿ ١ ﴾ ، ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٢٢) ﴿ ٢ ﴾ ، ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّآيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ (٣) ، ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (٤) .

إن كثرة المشاكل من مظاهر الغربة التي نعيشها ، ونتيجة حتمية للتفسخ والبعد عن دين الله ، حتى حدث الإنقسام المريب بين الأرض والسماء ، والدنيا والآخرة ، وبعض الساعات والبعض الآخر وبعض الرجال والبعض الآخر ، وبعض العبادات وبعضها الآخرة ، وانفصل العلم عن العمل في حس وشعور الكثير مما أدى للمزيد من المشاكل .

إن الله تعالى هو خالق الخلق ومالك الملك ، وهو سبحانه العليم الخبير الرؤوف الرحيم ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (١٤) ﴿ ٥ ﴾ ، ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ (٦) ، وقد شرع لنا شرعاً محكماً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ومن رحمته جل وعلا أن أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (٧) ، ورغم شمول الدين لكل ناحية من نواحي الحياة إلا أننا

(١) سورة الإسراء الآية « ٧٢ » .

(٢) سورة الملك الآية « ٢٢ » .

(٣) سورة الأعراف الآية « ١٤٦ » .

(٤) سورة الحج الآية « ٤٦ » .

(٥) سورة الملك الآية « ١٤ » .

(٦) سورة الأعراف الآية « ٥٤ » .

(٧) سورة المائدة الآية « ٣ » .

هجرنا كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وصار الإسلام ينادينا من مكان بعيد ، من يوم بدر وأحد ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) ﴾ ^(١) ، لقد صارت حياتنا مادية طاغية ، لا نفكر إلا بعضلاتنا ولا نعول إلا على الحول والطول وإجراء التجارب على الحيوانات واستيراد الحلول من الشرق والغرب بعيداً عن المنهج الذى أمرنا به ، نسينا إيماننا وديننا ، وصرنا لا نوقر إلا الخبير الإقتصادى فلان والطبيب العالمى علان ، بينما نسمع كلام رب العالمين وكأن المخاطب به غيرنا !! .

ولذلك ازدادات المشاكل تعقيداً ، وكنا كالمستجير من الرمضاء بالنار أو

كالعير بالرمضاء يقتله الظمأ والماء فوق ظهوره محمول

نعالج الفقر بالربا !! ونربى أولادنا على فنون الرقص والضياع ، ونرتضى فى أحضان المغضوب عليهم تارة والضالين تارة أخرى ، ولذلك فالمشاكل تزداد تعقيداً يوماً بعد آخر ، وما جنينا من وراء ذلك إلا المزيد من التعاسة والشقاء ﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) ﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً (١٢٥) قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ﴿ (٢) ﴾ ، إن من يطلب منه حل المشاكل اليوم لا يستطيع حل مشاكله فى الأعم الأغلب ، وهذا على مستوى الفرد والدولة ، فلا دراية بالداء ولا بالدواء ، ومحاولة البعض علاج المشاكل

(١) سورة آل عمران الآية « ١٤٤ » .

(٢) سورة طه الآية « ١٢٣ - ١٢٦ » .

صارت أقرب إلى إيجاد المزيد من المشاكل ، وصار الحال أشبه بدوامة تكاد لا تنتهى .

وليس غرضنا فى هذه الرسالة العرض أو الطرح التفصيلى للمشكلات وطرق علاجها ، فهذا لا يسعنا ولا يسع غيرنا ، فهى كثيرة ومتنوعة ومتجددة ، وشأنها فى ذلك كشأن الأباطيل والبدع ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ ^(١) ، فالظلمات كثيرة لا تنحصر ، أما النور فهو واحد ، فاعرف الحق تعرف أهله ، واعرف الباطل تعرف من أتاه ، واسلك طريق الهدى ولا يضرك قلة السالكين وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين ، ولكن الهدف هو وضع اليد على الداء والدواء الحقيقى ، فما أنزل الله داءً إلا أنزل له دواء ، وقد جعل سبحانه كتابه ﴿ شِفَاءً لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٢) ، وقد ذكرت بعض المقدمات المطلوبة بين يدى البحث وفرقت بين طريقة الإسلام لعلاج المشكلات والطرق المادية المستخدمة فى ذلك وذكرت أمثله للتدليل على ذلك ، فإن كان صواباً فمن الله وإن كان خطأ فمن نفسى ومن الشيطان والله منه برئ ، ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ ^(٣) .

كتبه

سيد عبد العظيم

(١) سورة الأنعام الآية « ١ » .

(٢) سورة يونس الآية « ٥٤ » .

(٣) سورة هود الآية « ٨٨ » .

أولاً : إخبار الصادق المصدوق عليه السلام عن تفاقم المشاكل وكثرة الفتن وهى من دلائل نبوته عليه السلام

﴿ ١ ﴾ ظهور الفتن

عن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن بين يدى الساعة فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسى كافراً ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشى ، والماشى فيها خير من الساعى ، فكسروا قسيكم ، وقطعوا أوتاركم ، واضربوا بسيوفكم الحجارة ، فإن دخل على أحدكم ، فليكن كخير ابن آدم » (١) .

وفى الحديث : « أنه لم يكن نبي قبلى إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم ، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها فى أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها وتجيى الفتنة فيرقق بعضها بعضاً وتجيى الفتنة فيقول المؤمن : هذه هذه ، فمن أحب أن يرحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر » (٢) .

وأكثر الفتن التى ظهرت فى المسلمين كان منبعها من المشرق ففى الحديث : « ألا إن الفتنة ههنا ألا إن الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان » (٣) . فمن العراق وما والاها ظهر الخوارج والشيعة والباطنية

(١) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم وصححه الألبانى .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه الشيخان .

والقدرية والجهمية والمعتزلة والمأنوية والمزدكية والهندوسية والبوذية والقاديانية والبهائية والإلحاد وسيكون ظهور الدجال وأجوج ومأجوج من جهة المشرق ، نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن .

وقد أخبر الصادق المصدوق عليه السلام عن فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه إذ كان عمر رضي الله عنه بمثابة باب كسر على الفتنة فلم يغلُق وكان مقتل عثمان أول فتنة ظهرت ، وقال عليه السلام : « كيف بإحداكن إذا نبحتها كلاب الحوَّاب » ^(١) . فلما بلغت عائشة رضي الله عنها بعض ديار بنى عامر نبحت عليها الكلاب ، فقالت : أى ماء هذا ؟ قالوا : الحوَّاب ، قالت : ما أظننى إلا راجعة ، فقال لها الزبير : لا بعد تقدّمى فيراك الناس فيصلح الله ذات بينهم ، فقالت : ما أظننى إلا راجعة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : وسأقت الحديث وكان ذلك يوم الجمل .

كما أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى موقعة صفين بقوله : « لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة » ^(٢) ، فالفئتان هما طائفة على ومن معه وطائفة معاوية ومن معه ، على ما ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله .

ومن الفتن التى أخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم ظهور الخوارج ، وقد صح فيهم الحديث من عشرة أوجه ، كما قال الإمام أحمد ، وعن على رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « سيخرج قوم فى آخر الزمان أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية ، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم

(١) رواه أحمد وأبو يعلى والبخاري والحاكم ، وقال ابن حجر : سنده على شرط الصحيح .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة» ^(١) ، وقد خرجوا على النحو الذى جاء فى الأخبار وقتلهم على رضي الله عنه .

ومن هذه الفتن تقليد الأمم الماضية واتباع طريقتهم ، فعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتى بأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، فقيل : يارسول الله كفارس والروم ؟ فقال : ومن الناس إلا أولئك » ^(٢) .

وفى رواية عن أبى سعيد : « قلنا يارسول الله : اليهود والنصارى ، قال : فمن » ^(٣) . وفى هذا معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ ، فقد وقع ما أخبر به ﷺ كما قال النووى .



﴿ ٢ ﴾ ظهور مدعى النبوة

عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول » ^(٤) .

وعن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتى بالمشركين ، وحتى يعبدوا الأوثان ، وأنه سيكون فى أمتى ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبى وأنا خاتم النبیین لا نبى بعدى » ^(٥) .

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

(٤) رواه البخارى ومسلم .

(٥) رواه أبو داود والترمذى ، وصححه الألبانى .

ومن ادعى النبوة مسيلمة الكذاب والأسود العنسي والمختار بن أبي عبيد الثقفى ، والحارث الكذاب ، وظهر فى العصر الحديث ميرزا أحمد القاديانى ، ومن هؤلاء الكذابين أربع نسوة ادعين النبوة منهم سجاح زوجة مسيلمة الكذاب ، وتنبا أيضاً طليحة بن خويلد الأسدى ثم تاب ورجع إلى الإسلام وحسن إسلامه ، ولا يزال خروج هؤلاء الكذابين واحداً بعد الآخر حتى يظهر آخرهم الأعور الدجال ، فعن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال فى خطبته يوم كسفت الشمس على عهده : « وأنه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً آخرهم الأعور الكذاب » ^(١) .

﴿ ٣ ﴾ الخسف والقذف والمسح وكثرة الزلازل

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « سيكون فى آخر الزمان خسف وقذف ومسح ، إذا ظهرت المعازف والقينات ، واستحلت الخمر » ^(٢) . ورواه ابن ماجه عن عبد الله بلفظ : « بين يدى الساعة مسح وخسف وقذف » ويشهد له حديث عائشة رضى الله عنها عند الترمذى : « يكون فى هذه الأمة خسف ومسح وقذف » ، قالت : قلت : يا رسول الله : أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : « نعم إذا ظهر الخبث » ^(٣) وفى الحديث : « ليكونن من أمتى أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف ، ولينزلن أقوام إلى جنب علم ، يروح عليهم بسارحة لهم ، يأتيهم حاجة ، فيقولون :

(١) رواه أحمد .

(٢) رواه الترمذى والطبرانى فى مجمعهم الكبير والأوسط ، وهو صحيح .

(٣) رواه الترمذى ، وصححه الألبانى .

ارجع إلينا غداً ، فيبيتهم الله ، ويضع العلم ، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة » ^(١) . وفى الحديث : « لا تقوم الساعة حتى تكثر الزلازل » ^(٢) .

قال يوسف بن عبد الله الوابل : « والخسف قد وجد فى مواضع فى الشرق والغرب قبل عصرنا هذا ، ووقع فى هذا الزمن كثير من الخسوفات فى أماكن متفرقة من الأرض وهى نذير بين يدي عذاب شديد وتخويف من الله لعباده ، وعقوبة لأهل البدع والمعاصي ، كى يعتبر الناس ويرجعوا إلى ربهم ويعلموا أن الساعة قد أزفت ، وأنه لا ملجأ من الله إلا إليه » أ . هـ .

لقد ضربتنا الزلازل وبدلاً من أن نتوب إلى الله ونسارع بتطبيق شرعه سبحانه فى حياتنا الخاصة والعامة ، صرنا نتحدث عن الزلازل على أنها ظواهر طبيعية !! وأنها لم تقتصر علينا بل حدثت فى إسرائيل واليونان ولبنان !!! وتفتقت الأذهان عن استيراد أجهزة ريختر حديثة لقياس قوة الزلازل !! أبهذا سنستدفع بأس الله إن جاءنا ؟! .

﴿ ٤ ﴾ تداعى الأمم علينا

عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يوشك الأمم أن تداعى عليكم ، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها » ، فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : « بل أنتم يومئذ كثير ، ولكن غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن الله فى قلوبكم الوهن » ، فقال

(١) رواه البخارى تعليقاً .

(٢) رواه البخارى .

قائل يارسول الله : وما الوهن ؟ قال : « حب الدنيا وكراهية الموت » ^(١) .
لقد صار أمر هذه الأمة كاليتيم على موائد اللقائم ، وذلك عندما تركت دينها ورائها ظهيراً ، وأشربت حب الدنيا وكراهية الموت ، فضربها التتار والصليبيون واليهود وتسلط الأعداء على رقابنا عندما أصبحنا حرباً على أنفسنا ففى الحديث : « وإنى سألت ربى لأمتى أن لا يهلكها بسنة عامة ، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، فإن ربى قال : يا محمد إنى إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإنى أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة ، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ، ولو اجتمع من بأقطارها ، أو قال : من بين أقطارها ، حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبى بعضهم بعضاً » ^(٢) .



﴿ ٥ ﴾ كثرة الكذب وشهادة الزور

عن أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « سيكون فى آخر أمتى أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم » ^(٣) .
وفى رواية : « يكون فى آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم » ^(٤) .

وجاء فى حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قوله ﷺ : « إن بين يدى الساعة ... شهادة الزور وكتمان شهادة الحق » ^(٥) .

(١) رواه أحمد وأبو داود وصححه الألبانى بمجموع طرقه .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه أحمد وصححه أحمد شاكر .

(٤) صحيح مسلم

﴿٦﴾ ظهور الكاسيات العاريات والجلادين الظلمة

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا »^(١)

ومعنى كاسيات عاريات لأن ثيابهن لا تؤدي وظيفة الستر لرقتها وشفافيتها كأكثر ملابس النساء في هذا العصر ، وقد بلغ التهتك مداه بارتداء ما يسمى بملابس البحر .

وفي الحديث إشارة إلى تحول الشرطة الذين يناط بهم حفظ الأمن إلى جلادين ظلمة يجلدون العباد وذلك في آخر الزمان ، ففي الحديث : « يكون في آخر الزمان رجال معهم سياط كأذناب البقر ، يغدون في سخط الله ، ويرحون في غضبه »^(٢) . وورد أيضاً : « سيكون في آخر الزمان شرطة يغدون في غضب الله ويرحون في سخط الله فإياك أن تكون من بطانتهم »^(٣)

وهذا كله قد ظهر وتحقق في زماننا ، وهو دليل من دلائل نبوة رسول الله

ﷺ



(١) رواه مسلم .

(٢) رواه أحمد وأحمد والطيبراني في الكبير بإسناد صحيح .

(٣) رواه أحمد والطيبراني ، وهو صحيح .

﴿ ٦ ﴾ انتشار الزنا

عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ : « إن من أشراط الساعة ... ويظهر الزنا » ^(١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « سيأتي على الناس سنوات خداعات ... قال : وتشيع فيها الفاحشة » ^(٢) .

وعن أبي مالك الأشعري أنه سمع النبي ﷺ يقول : « ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير » رواه البخاري ، والحر هو الزنا .

وجاء في حديث النواس رضي الله عنه : « ويبقى شرار الناس يتهاجون فيها تهاجر الحمر فعليهم تقوم الساعة » رواه مسلم .
والمراد بالتهارج أى الجماع وكثرة النكاح .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « والذي نفسى بيده لا تنفى هذه الأمة حتى يقوم الرجل إلى المرأة فيفترشها في الطريق ، فيكون خيارهم يومئذ من يقول : لو واريثها وراء هذا الحائط » ^(٣) .

﴿ ٧ ﴾ انتشار الربا

عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « بين يدي الساعة يظهر الربا » ^(٤) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ليأتين على

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه الحاكم ، وصححه الألباني .

(٣) رواه أبو يعلى ، وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح .

(٤) رواه الطبراني ، وقال المنذرى : رواه رواة الصحيح .

الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال أمن حلال أم من حرام» (١) .
 إن الربا حرام سواء كان نسيئة أو فضلاً ، اضطرارياً أو اختياراً ، قليلاً أو كثيراً ، انتاجياً أو استهلاكياً ، وسواء على مستوى الفرد أو الدولة ، وقد لعن الله آكل الربا ، وموكله وكتبه وشاهده ، وهو آخر المحرمات في القرآن ، وقد تواعد سبحانه من يتعامل بالربا بحرب لا طاقة له بها ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴿ (٢) ، ورغم ذلك كله ، فقد انتشرت التعاملات الربوية بصورة لم يسبق لها مثل ، حيث بنى اقتصاد الدول وأقيمت البنوك والمصارف على هذا الربا المحرم ، ولم يعدم الناس بعض من ينتسب للعلم الشرعى ويتيح لهم هذا الربا الذى وردت والنصوص بتحريمه واتفقت كلمة العلماء على تحريمه .

﴿ ٨ ﴾ ضياع الأمانة وارتفاع الأفاضل

وإسناد الأمر إلى غير أهله

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة ، قال : كيف إضاعتها يا رسول الله ؟ قال : إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة » (٣) .

وروى حذيفة رضي الله عنه قال : « حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر ، حدثنا أن الأمانة نزلت فى جذر - أصل - قلوب الرجال

(١) رواه البخارى .

(٢) سورة البقرة الآيات « ٢٧٨ - ٢٧٩ »

(٣) صحيح البخارى .

ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة ، وحدثنا عن رفعها قال : ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوكت ، ثم ينام النومة فتقبض فيبقى أثرها مثل الجمل كجمر دحرجته على رجلك فنقط فتراه منتبهاً وليس فيه شيء ، فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحدهم يؤدي الأمانة فيقال : إن في بني فلان ، رجلاً أميناً ، ويقال للرجل : ما أعقله وما أظرفه وما أجلده وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ، ولقد أتى على زمان وما أبالي أيكم بايعت ، لأن كان مسلماً رده على الإسلام ، وإن كان نصرانياً رده على ساعيه ، فأما اليوم فما كنت أباع إلا فلاناً وفلاناً ^(١) .

وقد حدث النبي ﷺ عن هذا الوقت الذي تختل فيه المقاييس ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنها ستأتي على الناس سنون خداعات يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ، ويؤمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين وينطق فيها الرويضة ، قيل : وما الرويضة ؟ قال : السفية يتكلم في أمر العامة » ^(٢) .

وفي حديث جبريل المتفق عليه : « وإذا كانت العراة الحفاة رؤوس الناس فذاك من أشراطها » .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أشراط الساعة أن يغلب على الدنيا لكع بن لكع فخير الناس يومئذ مؤمن بين كريمين » ^(٣) . وفي الصحيح : « إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة »

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه أحمد ، وقال أحمد شاكر : إسناده حسن ومثله صحيح ، وقال ابن كثير : وهذا إسناد جيد ولم يخرجوه من هذا الوجه .

(٣) رواه الطبراني في الأوسط بإسنادين ورجال أحدهما ثقات كما قال الهيثمي .

وعن حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع » ^(١) .

وهذه النصوص مع تطابقها مع الواقع من حولنا إلا أننا لا ندري فلعلها تسوء عما هي عليه الآن ، وإلى الله المشتكى من غربة الإسلام وسط أهله وبنيه .



﴿ ٩ ﴾ ذهاب الصالحين وقبض العلم وظهور الجهل

عن عبدا لله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يأخذ الله شريطته (أهل الخير والدين) من أهل الأرض فيبقى فيها عجاجة (الأراذل ومنهم لا خير فيه) لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً » ^(٢) .

وفي الحديث : « يأتي على الناس زمان يغربلون فيه غربة يبقى منهم حشالة (الردي) قد مرجت (اختلطت) عهودهم وأماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا وشبك بين أصابعه » ^(٣) .

وهذا كله يحدث عند قبض العلم واتخاذ الناس رؤوساً جهالاً يفتون بغير علم ، وهذا أيضاً من جملة أشراط الساعة ، ففي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل » ^(٤) .

(١) رواه أحمد وصححه الألباني .

(٢) رواه أحمد والحاكم وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح .

(٣) رواه أحمد والحاكم وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح .

(٤) متفق عليه .

وقبض العلم يكون بقبض العلماء ، ففي الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » ^(١) .

ومن أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر ، والأصاغر : هم أهل البدع كما بين ابن المبارك رحمه الله .

﴿ ١٠ ﴾ إخراج الأرض كنوزها المخبوءة

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تقئ الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة ، فيجئ القاتل فيقول : فى هذا قتلت ! ويجيئ القاطع ، فيقول : فى هذا قطعت رحمى ، ويجيئ السارق فيقول : فى هذا قطعت يدى ! ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً » ^(٢) .

﴿ ١١ ﴾ ظهور المعازف وكثرة شرب الخمر واستحلال ذلك

عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « سيكون فى آخر الزمان خسف وقذف ومسح ، قيل : ومتى ذلك يا رسول الله ؟ قال : إذا ظهرت المعازف والقينات » ^(٣) . والقينات إشارة إلى المغنيين والمغنيات .

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه ابن ماجه والطبرانى وصححه الألبانى .

وعن أبى مالك الأشعرى رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول : « ليكونن من أمتى أقوام يستحلون الحر والزنا والحرير والخمر والمعازف ولينزلن أقوام إلى جنب علم يروح عليهم بسارحة لهم يأتيهم - يعنى الفقير - لحاجة فيقولوا : ارجع إلينا غداً فيبيتهم الله ويضع العلم ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة » ^(١) .

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أشراط الساعة ... » (وذكر منها) : « ويشرب الخمر » ^(٢) .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لتستحلن طائفة من أمتى الخمر باسم يسمونها إياه » ^(٣) .

لقد أصبحت الخمر تُصنع وتُباع وتُشترى فى ديار المسلمين ، وصار الناس يشربونها جهاراً ويسمونونها بيرة ونبيد وكينا ... وتقدم الراقصون والمغنون والممثلون على سائر فئات المجتمع باسم الفن وصاروا نجوماً يُهتدى بهم وتُتبع أخبارهم !!! .

﴿ ١٢ ﴾ تقارب الزمان والأهواق

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى ... يتقارب الزمان » ^(٤) .

(١) صحيح البخارى .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه أحمد وصححه الألبانى وقال ابن حجر : « سنده جيد » .

(٤) صحيح البخارى .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر ، ويكون الشهر كالجمعة وتكون الجمعة كالיום ، ويكون اليوم كالساعة ، وتكون الساعة كاحتراق السعفة » ^(١) .

واحتمال أن يكون تقارب الزمان حسياً وأن يكون معنوياً كما قال ابن أبي جهرة ، وذكر البعض أن التقارب بمعنى قلة البركة ، أو أن الناس يستقصرون أيام الرخاء التي تحدث في زمن المهدي وعيسى عليه السلام أو أن ذلك بسبب توافر وسائل المواصلات ، أو هو عبارة عن تقارب أحوال أهل الزمان في قلة الدين ، والأولى أن يقال عن تقارب الزمان أنه قصره وسرعته سرعة حقيقية وذلك في آخر الزمان .

وقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى تظهر الفتن ويكثر الكذب وتتقارب الأسواق » ^(٢) ، تقاربت الأسواق بسبب سهولة الإتصال وسرعة العلم بالتقلبات والأسعار .

﴿ ١٣ ﴾ كثرة القتل

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج قالوا : وما الهرج يا رسول الله ؟ قال : القتل القتل » ^(٣) ، وفي رواية البخاري عن عبد الله بن مسعود : « بين يدي الساعة أيام الهرج : يزول فيها العلم ويظهر فيها الجهل » ^(٤) قال أبو موسى : والهرج القتل بلسان الحبشة .

(١) رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني .

(٢) رواه أحمد وقال الهيثمي : « رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سمعان وهو ثقة » .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه البخاري .

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن بين يدي الساعة الهرج قالوا : وما الهرج ؟ قال : القتل ، قالوا : أكثر مما نقتل ، إنا نقتل في العام الواحد أكثر من سبعين ألفاً قال : إنه ليس بقتلكم المشركين ، ولكن قتل بعضكم بعضاً ، قالوا : ومعنا عقولنا يومئذ ، قال : إنه لينزع عقول أكثر أهل ذلك الزمان ، ويخلف له هباء من الناس يحسب أكثرهم أنه على شيء وليسوا على شيء » ^(١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لا تذهب الدينا حتى يأتى على الناس يوم لا يدرى القاتل فيم قتل ، ولا المقتول فيم قُتل ، فقليل كيف يكون ذلك ؟ قال : الهرج ، القاتل والمقتول في النار » ^(٢) .

وفي الحديث : « إن أمتي مرحومة ليس عليها في الآخرة حساب ولا عذاب إنما عذابها في القتل والزلازل والفتن » ^(٣) . استشرى القتل هنا وهناك وثار الحروب بين المسلمين بسبب وبغير سبب واستخدمت الأسلحة الفتاكة لنشر الإشتراكية ... وتحقيق الزعامة وانتشرت العصابات التي روعت الأمنين وتحقق ما أخبر به الصادق المصدوق عليه السلام وهو في اضطراب وتزايد فقد انتشر الهرج وعمت الفتنة ولم يدر القاتل فيم قتل ولا المقتول فيما قتل .



(١) رواه أحمد وابن ماجه والحديث صحيح .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي وصححه الألباني .

﴿ ١٤ ﴾ ظهور الشرك في هذه الأمة

عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا وضع السيف في أمتي لم يرفع فيها إلى يوم القيامة ولا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان » ^(١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذى الخلصة » ^(٢) .

وذي الخلصة : طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية .

وقد حدث ما أخبر عنه النبي ﷺ قد عبدت الأصنام بجزيرة العرب وطافت بها النساء كما كن يفعلن في الجاهلية حتى تم تكسيها في عهد الملك عبد العزيز آل سعود .

وفي الحديث : لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى ، فقالت عائشة : يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله ﷻ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ^(٣) ﴿ ٣٣ ﴾ ، أن ذلك تاماً ، قال : « إنه سيكون من ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحاً طيبة فتوفى كل من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم » ^(٤) .

فلا بد من سد ذرائع الشرك وعدم اتخاذ التصاوير والتمائيل بزعم أننا قد

(١) رواه أبو داود والترمذي وصححه كما صححه الألباني .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) سورة التوبة الآية « ٣٣ » .

(٤) رواه مسلم .

صرنا موحدين ، كما لا بد من الحذر من صرف العبادة للمقبورين وغيرهم ورد حكم ما تنازعنا فيه إلى الله سواء تعلق بالسياسة أو الإقتصاد ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ (٦٥) ﴿ (١) .

﴿ ١٥ ﴾ ظهور الفحش وقطيعة الرحم وسوء الجوار

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفاحش وقطيعة الرحم وسوء المجاورة » (٢) .
وروى الطبراني في « الأوسط » عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« من أشرط الساعة الفحش والتفحش وقطيعة الرحم » .
وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن بين يدي الساعة ... قطع الأرحام » .

لقد تجاهر وتباهى الناس بارتكاب الذنوب والمعاصي ، وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل لأتفه الأسباب وتباعد الأبناء عن الآباء حيث تمر السنون والشهور دون زيارة ، ونفس الأمر هو مع سائر ذوى الأرحام ، وأما سوء الجوار فحدث ولا حرج ، فكم من جار لا يعرف جاره ، ولا يتفقد أحواله مخالفين بذلك كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

(١) سورة النساء الآية « ٦٥ » .

(٢) رواه أحمد وأحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي .

﴿ ١٦ ﴾ تشبب المشيخة

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « يكون قوم يخضبون فى آخر الزمان بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة » ^(١) . وهذا وجد فى المسلمين فبدلاً من إطلاق اللحية حتى تكثر وتغزر إمتثالاً لنصوص الشريعة ، تجدد البعض يصنع بلحيته كهيئة حواصل الحمام ، يحلق عوارضه ويترك ما على ذقنه من الشعر ، ثم يصبغه بالسواد فيغدو كحواصل الحمام ، وقد نهى ﷺ عن صبغ الشعر بالسواد فإنه لما رأى أبا قحافة يوم فتح مكة ورأسه كالثغامة (نبات شديد البياض) بياضاً قال : « غيروا هذا بشئ واجتنبوا السواد » ^(٢) .

والمرأة فى ذلك كالرجل فلو غيرت شعرها بالأصفر أو الأحمر فلا بأس أما الأسود فلا .

وقد نهى رسول الله ﷺ عن حلق اللحية ولم يؤثر أنه أخذ من طول لحيته ولا من عرضها إلا ما روى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما « أنه كان إذا اعتمر أخذ ما زاد على القبضة » ^(٣) .



(١) رواه أحمد وأحمد وصححه أحمد شاكر ، ورواه أبو داود وقوى الحافظ إسناده .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه البخارى .

﴿ ١٧ ﴾ كثرة الشح

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أشرط الساعة أن يظهر الشح » ^(١) . والشح هو البخل .

وفي الحديث : « يتقارب الزمان وينقص العمل ويلقى الشح » ^(٢) .

وعن معاوية رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يزداد الأمر إلا شدة ولا يزداد الناس إلا شحاً » ^(٣) .



﴿ ١٨ ﴾ كثرة التجارة ومشاركة المرأة للرجل فيها

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « بين يدي الساعة تسليم الخاصة وفشو التجارة حتى تشارك المرأة زوجها في التجارة » ^(٤) .

وعن عمرو بن تغلب قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من أشرط الساعة أن يفشوا المال ويكثر وتفشوا التجارة » ^(٥) .

لم يتخوف النبي ﷺ الفقر على الأمة وإنما تخوف من أن تبسط عليهم الدنيا فتكون الفتنة ، ففي الحديث : « والله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها ، وتهلككم كما أهلكتهم » ^(٦) . وفي رواية مسلم : « وتلهيكم كما ألهمهم » .

(١) رواه الطبراني في الأوسط .

(٢) صحيح البخاري .

(٣) رواه الطبراني ورجاله الصحيح إسناده كما قال الهيثمي

(٤) رواه أحمد وصححه أحمد شاكر إسناده ، كما رواه الحاكم .

(٥) رواه أحمد والنسائي .

(٦) متفق عليه .

﴿ ١٩ ﴾ تمنى الموت من شدة البلاء

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ، فيقول : يا ليتني مكانه » ^(١) .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه ، ويقول : يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر ، وليس به الدين إلا البلاء » ^(٢) .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : « سيأتي عليكم زمان لو وجد أحدكم الموت يباع لا شتره » .

وعن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يأتي على الناس زمان يتمنون فيه الدجال » ، قلت : يا رسول الله بأبي وأمي مم ذلك ؟ قال : « مما يلقون من العناء والعناء » ^(٣) ، والعناء هو الكرب والشدة .

وهذه الأحاديث تُخبر عن الواقع في آخر الزمان ، وإلا فقد نهى النبي ﷺ عن تمنى الموت .

اللهم اجعل الحياة زيادة لنا في كل خير والموت راحة لنا من كل شر ، وإن أردت بعبادك فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين .



(١) متفق عليه .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه الطبراني في الأوسط والبخاري ورجاله ثقات كما قال الهيثمي .

﴿ ٢٠ ﴾ كثرة النساء وقلة الرجال

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : لأحدثنكم حديثاً لا يحدثكم أحد بعدى ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أشراط الساعة أن يقل العلم ويظهر الجهل ويظهر الزنا ، وتكثر النساء ويقل الرجال حتى يكون خمسين امرأة القيم الواحد ^(١) » ، وفى لفظ مسلم : « ويذهب الرجال وتبقى النساء حتى يكون خمسين امرأة قيم واحد » .

وفى حديث أبى موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « ويرى الرجل يتبعه أربعون امرأة يلذن به ^(٢) » وجاء فى الحديث : « من قلة الرجال وكثرة النساء ^(٣) » .

وكل هذه الأحاديث توضح كثرة النساء وقلة الرجال قرب قيام الساعة ، ولا يبعد أن يكون سبب ذلك كثرة المواليد من الإناث وقلة ذلك بالنسبة للذكور كما قال الحافظ ابن حجر ، وهذا المعنى يرى بواده من طالع إحصائيات المواليد هنا وهناك . وقد قيل أن سبب ذلك كثرة الفتوح فتكثر السبايا ، وقيل : سببه كثرة الفتن فيكثر القتل فى الرجال لأنهم أهل الحرب دون النساء ، والأول أولى ، والله أعلم .



(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه مسلم .

﴿ ٢١ ﴾ كثرة شهادة الزور ووقوع التناكر

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن بين يدي الساعة ... شهادة الزور وكتمان شهادة الحق » ^(١) . لقد انتشر شهود الزور على أبواب المحاكم بصفة خاصة وصاروا يستأجرون بأبخس الأثمان ، فبئس الإجارة ، وبئس الطالب والمطلوب فإن شهادة الزور سبب للظلم وضياع الحقوق وتقطيع الأواصر والروابط .



(١) رواه أحمد وصححه أحمد شاكر .

ميزان وضابط لعلاج المشاكل

لا بد لنا من ميزان وضابط نزن به أنفسنا قبل الناس ، وإن وافقنا كنا على حق وإن خلفناه وجب علينا أن نراجع أنفسنا وفقه ونحاسبها على أساسه .

والمسلم دينه الإسلام وهو يجري منه مجرى الدم من العروق ولا حياة له بدونه ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ (١) ، وكذلك أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ (٢) ، فلا تتصور سعادة ولا هناءة في البعد عن دين الله ولذلك ينتقل الناس من كرب إلى شقاء ومن تعاسة إلى نكد كلما ازدادوا بعداً عن منهج حياتهم وصلاتهم ﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴿ (٣) .

ومن رحمة الله تعالى أن حفظ لنا الإسلام وحفظ أيضاً من يقوم به ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٩) ﴿ (٤) ، بل وحفظت السنة أيضاً في داووين الإسلام وميز لنا العلماء الأجلاء بين صحيحها وضعيفها فكان الإسلام بمثابة واقعاً تطبيقياً .

فقد أم النبي ﷺ دولة بالمدينة واتسعت رقعتها بعد ذلك لتشمل أرجاء

(١) سورة الأنعام الآية « ١٢٢ » .

(٢) سورة الشورى الآية « ٥٢ » .

(٣) سورة طه الآيات « ١٢٣ ، ١٢٤ » .

(٤) سورة الحجر الآية « ٩ » .

المعمورة وهذه الدولة حكمت بدين الله سياسة واقتصاداً واجتماعاً وأخلاقاً وكان لها عهود وعقود ومعاملات وسياسة داخلية وخارجية وعلى ذلك درج الخلفاء من بعده ، وهذا الأمر لا يخفى إلا على من أعمى الله بصيرته فلم يبصر الشمس في رابعة النهار ثم خرج يزعم بعد ذلك ويقول : أين نظام الإسلام في السياسة أو الحكم أو الإقتصاد ؟! ومثل هذا لم يرجع لكتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ ، وتناسى الواقع التطبيقي للإسلام في أزهى عصوره : « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » (١) .

ومن طالع كتب الفقه والحديث والتفسير والسير وجد تفاصيل ذلك كله ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴾ (٢) ، وما بعد النور إلا الظلام والعمى ، والحق أبلج والباطل يحلج ، وعلى الحق نور وهو واحد ، والباطل كثير لا ينحصر ، والبدع كثيرة وطرق الغواية كذلك ، وهى عبارة عن فلسفات وتصورات ومذاهب تختلف فيما بينها وتشترك فى أنها ضلال وبعد عن الحق والحقيقة .

وبإزاء الطريق المستقيم الذى رسمه الله لعباده وأمرهم بسلكه سنجد طريقاً متعرجة متشابكة وظلام متكاثف ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣) ﴾ (٣) .

هذا الطريق المستقيم طريق طويل وممتد ابتدأه ربنا جل وعلا بآدم « أبو البشر » وكان نبينا مكلماً وساره فيه الأنبياء والصالحون كلهم أسلم وجهه لله

(١) متفق عليه .

(٢) سورة المائدة الآية « ١٥ ، ١٦ » .

(٣) سورة الأنعام الآية « ١٥٣ » .

واستقام على دين الله وقام بواجب العبودية لله رب العالمين ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١)

لم يعتمدوا على حولهم وقوتهم ولا على عقولهم وعلومهم وكانوا يحذرون الرأى والهوى فى دين الله فلم يتدعوا ولم يخترعوا ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي ﴾ (٢)

وما خلعت الأرض من قائم لله بحجة ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ (٣) ، ﴿ وَإِنْ مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (٤) ، وأتباع الحق هؤلاء قد يقلون هنا ويكثرون هناك ، ويدعون غيرهم لطريق الأمن والإيمان حتى وإن سخر بهم واستهزأ منهم ، وكما ورد : « ولا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك » .

وإذا كان كل نظام له عقيدة ، فالعقيدة ليست مختصة بالإسلام بل كل ديانة أو مذهب لابد لأصحابه من عقيدة يقيمون عليها نظام حياتهم ، وهذا ينطبق على الأفراد كما ينطبق على الجماعات .

والعقائد منذ بدء الخليفة إلى اليوم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها
قسمان :

١- العقيدة الصحيحة : وهى العقيدة الحقّة التى جاء بها الرسل

(١) سورة البقرة الآية « ١٣٢ » .

(٢) سورة يونس الآية « ١٥ » .

(٣) سورة النساء الآية « ١٦٥ » .

(٤) سورة فاطر الآية « ٢٤ » .

الكرام فى أى زمان ومكان ، وهى عقيدة واحدة لأنها منزلة من العليم الخبير ، ولا تختلف من رسول إلى رسول ، ومن زمان إلى زمان ، ولذلك يخطئ من يقول : الأديان السماوية ، لأن الدين واحد لا يتعدد ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ (١) ، وهو الذى بعث به نوح وموسى وعيسى ورسول الله ﷺ ولكن تعددت الشرائع ، شريعة الإسلام حاكمة ومهيمنة على سائر الشرائع .

٢- العقيدة الفاسدة : وفسادها من كونها نتاج أفكار البشر ومن وضع عقلائهم ومفكريهم ومهما بلغ البشر من عظم الشأن فإن علمهم يبقى محدوداً مقيداً بقيود متأثراً بما حولهم من عادات وأفكار .

وقد يأتى فساد العقيدة من تحريفها وتغييرها وتبديلها كما هو الحال بالنسبة للعقيدة اليهودية والنصرانية فى الوقت الحاضر فإنهما حرفتا منذ عهد بعيد ففسادها كان من هذا التحريف وإن كانت عقيدة سليمة فى الأصل واستبدلت التوراة بالتلمود والإنجيل المنزل على عيسى ﷺ باثنى عشر إنجيلاً اتفقوا على أربعة منها وطرحوا الثمانية الأخرى وكلها تحريف وتغيير ولذلك يصادم بعضها بعضاً ، فمن أراد أن يعرف العقيدة السليمة فإنه لن يجدها فى اليهودية ولا النصرانية ولا فى كلام الفلاسفة ، وإنما يجدها فى الإسلام فى أصله : الكتاب والسنة ، تقنع العقل بالحجة والبرهان وتملأ القلب إيماناً ونوراً وبقيناً وحياة ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٩) ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٢٢) ﴿ (٣)

(١) سورة آل عمران الآية « ١٩ » .

(٢) سورة الحجر الآية « ٩ » .

(٣) سورة الملك الآية « ٢٢ » .

بعض خصائص وسمات الإسلام وهو الذي ارتضاه سبحانه للعالمين

إذا كان الإسلام هو الميزان الضابط ، وهو الحاكم وكل شئ من الأنظمة والمناهج والفلسفات محكوم عليه ، وهو يعلو ولا يعلى عليه ، وهو الصبغة التي صبغنا الله بها والدين الذي ارتضاه سبحانه للعالمين على اختلاف ألوانهم وألسنتهم في كل زمان ومكان ، فلا شك أنه حوى واستم بخصائص ومميزات تؤهله لذلك ، ومن أعظم هذه الصفات والخصائص :

١ - صفة الربانية :

فالإسلام من عند الله ، وهو وحيه سبحانه لنبيه ﷺ ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿ (١٩٥) ﴾ (١) ، وجبريل هو ملك الوحي الذي كان ينزل بأمر الله على المرسلين كموسى وعيسى ورسول الله ﷺ ، والقرآن الكريم بلفظه ومعناه من عند الله ونقل إلينا نقلاً متواتراً حفظته السطور والصدور أن تضل إحدهما فتذكر إحدهما الأخرى ، والسنة المطهرة الصحيحة معناها من عند الله واللفظ لرسول الله ﷺ .

وإذا كانت النظم الوضعية مصدرها الإنسان بقصوره وعجزه ، فالإسلام مصدره رب الإنسان ومالكة الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ، يقول تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ (٢) ، ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴾ (٣) ، ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (٤)

(١) سورة الشعراء الآيات « ١٩٣ - ١٩٥ » .

(٢) سورة النمل الآية « ٦ » .

(٣) سورة الزمر الآية « ٢ » .

(١)

﴿ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢)

وقد أوجب ربنا علينا اتباع كتابه وسنة نبيه ﷺ ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١٥٥) ﴿ (٢) ، والنبي ﷺ صادق مصدوق ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) ﴾ (٣) .

والنظم والفلسفات وإن رفعت راية العدل وتحقيق المساواة وغيرها إلا أنها فى الحقيقة عبارات جوفاء لا رصيد لها من الصحة فى الأعم والأغلب من الأحوال ، والتمييز بين الناس على أساس اللون أو الجنس ما يزال موجوداً حتى عند أكثر الدول تحضراً - كما يزعمون - فى القرن العشرين .

فمن النصوص القانونية فى بعض الولايات الأمريكية « إن النكاح بين شخصين أحدهما أبيض وآخر زنجى يعتبر نكاحاً باطلاً » بل يحرم القانون عندهم أى دعوة لإقرار المساواة أو الزواج بين البيض والسود .

أين هذا الظلم الصارخ من قول الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (٤) ، وفى الحديث الشريف الذى أورده القرطبى فى تفسيره عن الطبرى بإسناده عمن شهد خطبة رسول الله ﷺ بمنى فى وسط أيام التشريق وهو على بعير فقال : « يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر على أسود (٥) إلا بالتقوى ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم ، قال : ليلغ الشاهد الغائب » .

(١) سورة السجدة الآية « ٢ » . (٢) سورة الأنعام الآية « ١٥٥ » .

(٣) سورة النجم الآيات « ٣ ، ٤ » . (٤) سورة الحجرات الآية « ١٣ » .

(٥) أورده القرطبى فى تفسيره عن الطبرى بإسناده .

وعن عائشة رضى الله عنها : أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا : من يكلم فيها رسول الله ﷺ قالوا : من يجترئ عليه إلا أسامة ابن زيد حب رسول الله ﷺ فكلمه أسامة ، فقال رسول الله ﷺ : « أتشفع فى حد من حدود الله تعالى ؟ ثم قام فخطب ثم قال : إنما هلك من قبلكم لأنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ؛ وأيمن الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » (١) ، وأن النبى ﷺ قال لأبى ذر لما قال لرجل من المسلمين يا ابن السوداء : « إنك امرؤ فيك جاهلية » (٢) .

والعقيدة ولا شك هى الضمان لحسن تطبيق النظام ، والمؤمنون الذين يرجون ربهم ويخافون سوء الحساب ينقادون لأمر ربهم سرا وعلانية ويخافون على أنفسهم من مخالفته وعصيانته ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (١٥) (٣) ، أما القوانين والمبادئ الوضعية التى شرعها الإنسان فإنها لا تظفر بهذا المقدار من الإحترام والهيبة إذ ليس لها سلطان على النفوس ، ولا يقوم على أساس من العقيدة الحقة والإيمان الصحيح كما هو الحال بالنسبة للإسلام ، ولهذا فإن النفوس تجرؤ على مخالفة القانون الوضعى كلما وجدت فرصة لذلك وقدرة على الإفلات من ملاحقة القانون وسلطان القضاء ورأت هذه المخالفة موافقة لأهوائها وتحقيقاً لرغباتها ، والواقع خير شاهد على ما نقول . ولننظر بعد ذلك كيف أتى ماعز والغامدية لرسول الله ﷺ وأقرا على

(١) متفق عليه .

(٢) رواه البخارى .

(٣) سورة الأنعام الآية « ١٥ » .

نفسيهما لإقامة الحد عليهما لما زنيا فيرجعهما النبي ﷺ مرة بعد أخرى ، وهما يصران على تطهير نفسيهما ، لا شك أن رقابة الله وخوف الله هو الذى دفعهما لذلك .

ولما نزل تحريم الخمر يروى أنس ويقول : كان الكؤوس تدار على رأس أبى طلحة وأبى عبيدة وأبى دجانة وسهيل بن بيضاء ومعاذ بن جبل إذ سمعنا أن الخمر قد حُرمت يقول : فما دخل علينا داخل وما خرج منا خارج حتى كان منا من اغتسل ومنا من توضأ وأصبنا من طيب أم سليم ثم خرجنا إلى المسجد » وفى رواية : « قلنا : انتهينا ربنا انتهينا » قالوا ذلك لما سمعوا قول ربهم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴾ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ (٩١) ﴿ (١) ، فكانت المسارعة بالتنفيذ دون تلكؤ أو تردد أو شك أو ارتياب ، وقام المسلمون إلى زقاق الخمر فأراقوها وإلى دنانه فكسروها وغرقت شوارع المدينة يومئذ بالخمر .

ولما شرعت أمريكا قانون تحريم الخمر سنة ١٩٣٠ م وبموجبه حرم بيع الخمر وشراؤها وصنعها وتصديرها واستيرادها مهدت له بدعاية « ٦٥ » مليون من الدولارات ، وكتبت تسعة آلاف مليون صفحة فى مضار الخمر ونتائجه وعواقبه ، وأنفق ما يقرب من « ١٠ » عشرة مليون دولار من أجل تنفيذ القانون ، وقتل فى سبيل تنفيذ هذا القانون مائتا نفس ، وحبس نصف مليون

شخص ، وغرم المخالفون له غرامات بلغت ما يقرب من أربعة ملايين دولار ،
وصودرت أموال بسبب مخالفته قدرت بألف مليون دولار ثم قاموا بإلغاء القانون
فى أواخر سنة ١٩٣٣ م .

كان يكفيهم مع الإيمان قوله سبحانه : ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ ، ليقولوا :
انتهينا ربنا .

٢- الشمول :

فلإسلام حكمه فى كل قضية من قضايا الحياة سواء تعلقت بالفرد أو
الجماعة ، بالمسجد أو بالسوق ، بالسياسة الداخلية أو الخارجية ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ
لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ ^(١) ، ويقول
تعالى : ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ^(٢) ، فهى على قول بعض
المفسرين تتعلق بالقرآن ، فكل قضية لها حكمها فى كتاب الله إما إجمالاً وإما
تفصيلاً ، والأفعال أو الأقوال التى تصدر عن الإنسان بل الخلجات والأفكار
التي تدور فى النفوس أو القلوب لها حكمها فى دين الله ، وهى تأخذ حكماً
من الأحكام الخمسة « واجب ومندوب ومباح ومكروه وحرام » .

والإنسان الذى حمل الأمانة على ظلمه وجهله إذا نصب من نفسه مشرعاً
والهاً مع الله لا بد وأن تتسم تشريعاته ونظمه ومناهجه بالظلم والجهل والقصور
والهوى والنقص ، ولذلك رأينا القوانين والنظم الوضعية تفصل فضلاً مريباً بين
القواعد الأخلاقية والقواعد القانونية ، فلا مكان فيها للأخلاق ، فى الوقت

(١) سورة المائدة الآية « ٣ » .

(٢) سورة الأنعام الآية « ٣٨ » .

الذى امتزجت فيه الأخلاق بالأحكام الشرعية امتزاجاً كاملاً ، فلا ضرر ولا ضرار ، والمعصية لا تواجه بالمعصية والخطأ ، ونحرص على تقوى الله فيمن لا يتقى الله فينا .

وهذا الإلتزام يتأكد فى أخرج الظروف وأدق الأوقات ولذلك « لما أتى أبو جندل يستصرخ بالمسلمين يوم الحديبية ، وكان النبى ﷺ قد أبرم الإتفاقية أو العهد مع أبيه « سهيل بن عمرو » أمره النبى ﷺ أن يرجع وقال له : « يا أبا جندل اصبر واحتسب ، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك عهد الله وإنا لا نغدر بهم » ، قال أيضاً : « إنا لا يحل فى ديننا الغدر » (١) .

فهذا معنى من معانى شمول الشريعة ، فالعهود كان يرمها النبى ﷺ الذى أقام دولة بالمدينة وفق شرع الله ، وفى ذات الوقت امتزجت المعانى الأخلاقية بالوعد والعهود امتزاجاً لن تجد مثله فى السياسات الميكافيلية والغاية فيها تبرر الوسيلة كما هو معلوم .

بل ويقرر الفقهاء المسلمون أن الأجنبى « غير المسلم » إذا دخل إقليم الدولة المسلمة بأمان ولمدة معينة ، لا يجوز تسليمه إلى دولته إذا طلبته خلال هذه المدة ، ولو على سبيل المفاداة بأسير مسلم عندها ، ويبقى المنع من تسليمها إياه وذلك لأن على الدولة الإسلامية أن تفى بعهودها له ، فيبقى آمناً لا يمسّه سوء ، وتسليمه بدون رضاه غدر منها بعهدها له ، ولا رخصة فيها بل ولا يصح تسليمه حتى وإن قتلت دولته جميع رعايا الدولة المسلمة المقيمين فى أرضها

لأن فعلها ظلم ولا مقابلة بالظلم .

والمسلم وهو يتعامل مع الخلق لا ينسى خالقه وقد أمر أن يعطى كل ذى حق حقه ويقول الرسول ﷺ : « يا عثمان إنى لم أؤمر بالرهبانية أرغبت عن سنتى ؟ » قال : لا يارسول الله . قال : « إن من سنتى أن أصلى وأنام ، وأصوم وأطعم ، وأنكح وأطلق ، فمن رغب عن سنتى فليس منى ، يا عثمان إن لأهلك عليك حقاً ، ولنفسك عليك حقاً » ^(١) ، ويعلم أن قضاء القاضى وحكم الحاكم وفتوى المفتى لا تقلب الحلال حراماً ولا تحول المعصية إلى طاعة قال رسول الله ﷺ : « إنكم تختصمون إلىّ وإنما أنا بشر ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض وإنما أقضى لكم على نحو مما أسمع منكم فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار يأتى بها يوم القيامة » ^(٢) .

وبالتالى لا يحل لمسلم أن يبيح لنفسه فعل الحرام أو أكله ، وإن أباح له ذلك القضاء ، ولأن الحاكم يحكم حسب الظاهر والله يتولى السرائر ، ولأن مناط الثواب والعقاب فى الآخرة على حقائق الأفعال ونيات الإنسان وما ارتكبه من حلال أو حرام ، والعبرة بالمقاصد لا بالألفاظ .

وفى ظل الشمول سنعلم أنه لا فصل بين العلم والعمل ولا بين الدين والدولة ، ولا بين الدنيا والآخرة ، ولا بين الأرض والسماء ، ولا بين الصلاة والسياسة ، ولا بين الأخلاق والحكم ، ولا بين الزكاة والإقتصاد ، ولا بين

(١) رواه الدارمى ، وقال الألبانى : إسناده جيد .

(٢) متفق عليه .

ساعة وساعة ، ولا بين رجل ورجل ، فلا يصح بعد ذلك أن نقول : دع ما لقيصر ليقصر وما لله لله ، أو الدين لله والوطن للجميع ، ورجال الدين ورجال الدولة ، أو ساعة لربك وساعة لنفسك ، أو اليوم الخمر وغداً أمر ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٦٢) ﴿ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنْ أَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (٢) ، لا يفصل عن قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ (٣) .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ (٥٨) ﴿ (٤) ، لا يتباعد عن قوله جلا وعلا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ (٥) .

وقوله سبحانه : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (٢٩) ﴿ (٦) ، خرج من مشكاة واحدة

-
- (١) سورة الأنعام الآية « ١٦٢ » .
 - (٢) سورة المائدة الآية « ٤٩ » .
 - (٣) سورة النساء الآية « ١٠٣ » .
 - (٤) سورة الأنفال الآية « ٥٨ » .
 - (٥) سورة المائدة الآية « ٨ » .
 - (٦) سورة التوبة الآية « ٢٩ » .

هو وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۖ ﴾ ^(١) ، وتقرأ فى الأمر بالشورى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ۖ ﴾ ^(٢) ، وفى إيتاء الزكاة : ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۖ ﴾ ^(٣) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ، وفى أداء الأمانة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ۖ ﴾ ^(٤) ، وفى الميراث : ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۖ ﴾ ^(٥) ، وفى تحريم الربا : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۖ ﴾ ^(٦) ، وفى عقوبة السارق : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ۖ ﴾ ^(٧) ، وفى التعزير : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ ﴾ ^(٨) ، وفى علاقة الإبن بالديه : ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ ﴾ ^(٩) ، وفى علاقته بزوجه : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۖ ﴾ ^(١٠) .

شمول واضح وظاهر لكل ناحية من نواحي الحياة ، ولو ذهبنا نستطرد لنقلنا آيات القرآن الكريم وسنة النبى ﷺ ، الذى لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا بعد أن أكمل له ربه الدين ، وأتم عليه النعمة ، ورضى لنا الإسلام ديناً ، وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، وقد بين لنا وأعطانا من كل شئ علماً ، وحتى لا نحتاج بعد ذلك لهذه الزبالات التى تفتقت عنها عقول البشر واعتبروها مناهج وفلسفات ونظريات ومن بينها الديمقراطية .

(٢) سورة الشورى الآية « ٣٨ » .
(٤) سورة النساء الآية « ٥٨ » .
(٦) سورة البقرة الآية « ٢٧٥ » .
(٨) سورة الشورى الآية « ٤٠ » .
(١٠) سورة النساء الآية « ١٩ » .

(١) سورة آل عمران الآية « ١٩ » .
(٣) سورة فصلت الآية « ٦ ، ٧ » .
(٥) سورة النساء الآية « ١١ » .
(٧) سورة المائدة الآية « ٣٨ » .
(٩) سورة لقمان الآية « ١٥ » .

٣ - الصوم :

النبى ﷺ ليس نبياً للعرب فقط وإنما للبشرية كافة ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ ^(١) ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ ^(٢) ، ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ ^(٣) ، ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ ^(٤) ، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ^(٥) ، ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ ^(٦) ، ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ ^(٧) .

فهذه الرسالة للأبيض والأصفر ، والأحمر والأسود ، ويقول النبى ﷺ : « أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، فإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا ، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ » ^(٨) .

ولذلك توجه الصحابة ومن بعدهم بهذه الدعوة إلى رستم الفارسى وهنا وهناك ، وأرسل النبى ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ، وقال له : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ ، سَلَامٌ عَلَى

(١) سورة سبأ الآية « ٢٨ » .

(٢) سورة الأعراف الآية « ١٥٨ » .

(٣) سورة الأحزاب الآية « ٤٠ » .

(٤) سورة الفرقان الآية « ١ » .

(٥) سورة الأنبياء الآية « ١٠٧ » .

(٦) سورة ص الآية « ٨٨ » .

(٧) سورة البقرة الآية « ١٩٣ » .

(٨) متفق عليه .

من اتبع الهدى ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين - أى الفلاحين » ، ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٦٤) (١) (٢)

وكانت الفتوحات الإسلامية لإعلاء كلمة الله فى الأرض بل هذه الرسالة تعدت الإنس إلى الجن ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ ﴿ (٣)

فالجن حين تنادت بذلك قالت : أنزل من بعد موسى ، ولم يقولوا : أنزل من بعد عيسى ، وذلك لأن التوراة شريعة مستقلة مثل القرآن بعكس الإنجيل فهو عبارة عن الأخلاق والآداب والأحكام التى أضيفت إلى التوراة وأصبحت مكملة لها ، ولذلك يسمون التوراة بالعهد القديم .

وعموم الشريعة الإسلامية ، وبقاءها ، وعدم قابليتها للنسخ والتبديل والتغيير بالنقص والزيادة ، كل ذلك استلزم أن تكون قواعدها وأحكامها ومبادئها وجميع ما جاءت به على نحو يحقق مصالح الناس فى كل عصر ومكان ويفى بحاجاتهم ولا يضيق ولا يتخلف عن أى مستوى عال وصحيح يبلغه البشر بل بلوغ درجة الكمال البشرى المقدور إنما يحدث بالإستقامة على دين الله لا شئ

(١) سورة آل عمران الآية « ٦٤ » .

(٢) رواه مسلم .

(٣) سورة الأحقاف من « ٢٩ - ٣١ » .

سواه ، والعليم الخبير هو الذى جعلها عامة فى المكان والزمان وخاتمة لجميع الشرائع ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (١٤) ، ويقول النبى ﷺ : « فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لى الغنائم ، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بين النبيون » (٢) .

فجاءت الأحكام والقواعد صالحة لكل زمان ومكان ، ومهيئة للبقاء والاستمرار ، تحقق مصالح العباد فى العاجل والآجل والدنيا والآخرة ، وتدرأ عنهم المفاسد والاضرار فى العاجل والآجل أيضاً حتى قال بعض العلماء : إن الشريعة كلها مصالح إما درأ مفاسد أو جلب مصالح ، والمصلحة تتحقق أتم تحقيق بالرجوع لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وعدم مخالفة شرع الله ﷻ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴿ ١٠٧ ﴾ (٣) ، ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ ﴾ ﴿ ١٧٩ ﴾ (٤) ، ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ ﴿ ٩١ ﴾ (٥) .

ولذلك شرعت الرخص عند وجود المشقات ، كإباحة الفطر فى رمضان للمريض والمسافر ، والضرورات تبيح المحظورات وتقدر بقدرها ، كإباحة أكل الميتة لمن خاف الهلكة ولم يجد مباحاً ، والضرر يزال ، ولا ضرر ولا ضرار .

(١) سورة الملك الآية « ١٤ » .

(٢) رواه مسلم .

(٣) سورة الأنبياء الآية « ١٠٧ » .

(٤) سورة البقرة الآية « ١٧٩ » .

(٥) سورة المائدة الآية « ٩١ » .

وجاءت نصوص الشريعة بحفظ الضروريات الخمس وهى « الدين والنفس والعقل والنسل والمال » ولحفظ الدين شرع الإسلام العبادات والجهاد وعقوبة المرتد وزجر من يفسد على الناس دينهم ، ولحفظ النفس شرع النكاح والقصاص وتخريم إلقاء النفس فى التهلكة ولزوم دفع الضرر عنها ، وشرع لحفظ العقل تحريم الخمر والمخدرات ، والنسل شرع الإسلام لإيجاده الزواج ولحفظه عقوبة الزنى والقذف وحرمة إجهاض المرأة الحامل إذا استتم الجنين أربعة أشهر بإتفاق العلماء.. ولحفظ المال شرع الإسلام لتحصيله أنواع المعاملات من بيع وشراء ونحو ذلك وشرع لحفظه حرمة أكل مال الناس بالباطل أو إتلافه بلا وجه سائغ مشروع والحجر على السفیه وتخريم الربا وعقوبة السرقة .

كما وردت النصوص أيضاً بتحصيل حاجيات الإنسان « كالطلاق إذا لم تعد الحياة الزوجية تطاق » والتحسينات « كالطهارة للبدن والثوب ، وستر العورة والنهى عن بيع الإنسان على بيع أخيه ، والنهى عن قتل النساء والأطفال فى الحروب » .

يقول ابن القيم عن شريعة الله أن : « مبناه وأساسها على الحكم ومصالح العباد فى المعاش والمعاد ، وهى عدل كلها ورحمة ومصالح كلها وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت من العدل إلى الجور ومن الرحمة إلى ضدها وعن المصلحة إلى المفسدة وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل ، فالشريعة عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه » أ . هـ .

ولا يمكن أن نغلق باب الاجتهاد أمام من تمهدت له أسبابه وحصل أدوات الاجتهاد ، والنظر فى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، والشريعة بما حوت من مبادئ « كالشورى والعدل وإزالة الضرر » وأحكام تفصيلية فى كل

ناحية من نواحي الحياة لا يمكن أن تضيق بحاجات الناس المشروعة ، ولا تعجز عن تحقيق مصالحهم الحقيقية في أى زمان ومكان .

ومصادر الشريعة سواء أكانت أصلية وهى الكتاب والسنة ، أو المصادر التبعية كالإجماع والقياس وغيرها والله الحمد جاءت فى غاية القدرة والاستعداد للبقاء والعموم بحيث لا يحدث شئ جديد إلا وللشريعة حكم فيها بالنص الصريح أو بالإجتهاد الصحيح ، وبالتالي لا تضيق الشريعة بالوقائع الجديدة والحوادث المستجدة ، والصحابة رضوان الله عليهم كانوا إذا لم يجدوا نصاً قاسوا الأشباه بالأشباه والنظائر بالنظائر .

٤- الجزء :

وخاصية الجزء تختلف كثيراً عن عقيدة الفداء والخطيئة وصناديق الغفران عند النصارى ، فمن أذنب فعليه أن يبادر بالتوبة ، وتأخير التوبة ذنب يجب التوبة منه ، ويشرع الستر على الإنسان إذا لم يكن مشهوراً بارتكاب الفواحش « من أتى شيئاً من القاذورات فليستتر بستر الله فإن من أبدى لنا صفحته أقمنا عليه كتاب الله » ، وفى رواية أبى داود يقول النبى ﷺ لهزال - وهو الذى أتى بما عاز الأسلمى لرسول الله ﷺ لما زنى - : « لو سترته بثوبك لكان خيراً » ، ويقول تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ (١)

ولا يجب على الإنسان أن يذهب إلى الحاكم لإقامة الحد عليه إذا زنى مثلاً لأن النبى ﷺ أرجع ماعز والغامدية مرة بعد أخرى ، وفى الحديث :

« بايعنا رسول الله ليلة العقبة الأولى : أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه فى معروف - قال : فإن وفيتهم فلكم الجنة ، وإن خشيتهم من ذلك شيئاً فأخذتم بحده فى الدنيا فهو كفارة له ، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله إن شاء عذب وإن شاء غفر » ^(١) ، والتوبة تمحو كل ذنب كفرأ كان أو دونه ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ ^(٢) ، ﴿ نَبِئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ^(٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾ ^(٥٠) ^(٣) .

ونحن لا نفرح بكثرة عدد المحدودين أو المرجومين ، ولا يصح أن نأخذ الناس بالشبهات فالحدود تدرأ بالشبهات ، وروى ابن حزم بسند صحيح : « أن عبد الرحمن بن حاطب كانت له نوبة صامت وصلت وهى أعجمية لا تفقه ، وكانت ثيباً فحملت ، فأرسل إلى عمر بن الخطاب فسألها : أحبلت ؟ قالت : نعم من مرعوش بدرهمين ، فاستشار عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب ، وعبد الرحمن بن عوف ، فقال على وعبد الرحمن : وقع عليها الحد أى الرجم . فقال عثمان : أراها تستهل به كأنها لا تعلمه ، وليس الحد إلا على من علمه ، فقال لعثمان : صدقت والذى نفسى بيده ما الحد إلا على من علمه » ثم أمر بجلدها مائة وتغريبها عاماً تأديباً لها لتهاونها فى السؤال عن الحرام والحلال فى أمر دينها ، وورد فى صحيح البخارى « أن امرأة بالمدينة كانت تظهر فى الإسلام السوء » وفى رواية أخرى : « كانت

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) سورة الأنفال الآية « ٣٨ » .

(٣) سورة الحجر الآية « ٤٩ ، ٥٠ » .

أعلنت في الإسلام » ، وفي رواية لابن ماجه : « فقد ظهر منها الريبة في منطقها وهيئتها ومن يدخل عليها » ولكن لما كانت جريمتها بدون بينه قاطعة ما أقيم عليها الحد مع أن النبي ﷺ قال عنها مرة : « لو كنت راجماً بغير بينة لرجمتها » .

ومن عجيب الأمر أن قطاعاً من الناس إذا ذكر الإسلام أو الشريعة الإسلامية لم يتبادر لذهنه من هذه الكلمة إلا الحدود كقطع يد السارق أو رجم الزانى المحصن ، وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على مدى الغربة التى وصل إليها الحال ومدى الضياع الذى وصلت إليه الأمة لما تباعدت عن كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ ، غفلة عن شمول الإسلام لجميع نواحي الحياة وتنظيمه لها بل وغفلة أيضاً من معنى الجزاء فى الإسلام والأصل فى الجزاء أنه عقاب أخروى ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ (١) ، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٢) ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٣) ، وهذا من أعظم الزواجر للنفوس المؤمنة عن المخالفة والعصيان ، وربنا جل وعلا أحق أن يطاع فلا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر .

والجزاء الأخرى لا يمنع الجزاء الذى يوقعه الحاكم على المخالف لأحكام الإسلام ، والجزاء فى الدنيا أيضاً لا يمنع الجزاء فى الآخرة عن المخالف العاصى إلا إذا اقترنت معصيته بالتوبة النصوح ، فلا إصرار على الذنب بل يندم على ما مضى ، ويعزم على عدم العودة فيه مرة ثانية ، وقيل : أن يندم بالقلب ويستغفر باللسان ويقلع الجوارح ، والمؤمن يعلم أنه لو أفلت اليوم من الجزاء الدنيوى فلن

(١) سورة آل عمران الآية « ٣٠ » .

(٢) سورة الزلزلة الآية « ٧ - ٨ » .

يفلت غداً من الله ، فهو مالك الدنيا والآخرة ، والخلق خلقه ، والعبد عبده ، والأمر أمره ، وليس يخرج من سلطانه إلى سلطان غيره ، ولا من ملكه إلى ملك غيره ولهذا يذهب هو بنفسه لإقامة الحد عليه ولاستيفاء الحق منه ففى رواية لعمران بن حصين فى صحيح مسلم : أن النبى ﷺ لما أراد الصلاة على الغامدية قال له عمر : يا رسول الله أتصلى على هذه الزانية ؟ قال ﷺ : « لقد تابت توبة لو قسمت بين أهل المدينة لوسعتهم » ^(١) ، وفى رواية بريدة : أن النبى ﷺ أمر برجم الغامدية ، فرجموها ، فأقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها ، فنضح الدم على وجه خالد ، فسبها فقال النبى ﷺ : « مهلاً يا خالد ، فوالذى نفسى بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغُفر له ، ثم أمر بها وصلى عليها ودفنت » ^(٢) .

ونطاق الجزاء فى الإسلام واسع وشامل شمول الإسلام لجميع شئون الحياة ، ومن ثم تعلق الجزاء فى الإسلام بمسائل العقيدة والأخلاق والعبادات والمعاملات ، فكل مخالفة لهذه الأمور لها جزاؤها فى الآخرة ، وقد يكون لها جزاء فى الدنيا أيضاً ، ومجتمع يطبق فيه حكم الله على الغنى والفقير والرئيس والمرعوس لا بد وأن يسعد فى الدنيا قبل الآخرة .

٥ - الإسلام دين الواقعية كما أنه دين المثالية :

وهذه السمة الواضحة لا تنفصل عن أخواتها من صفات هذا الدين ، الذى امتن علينا ربنا ، وشرفنا بالانتساب إليه ، وأن نكون تحت لوائه بما فيه من عدل واعتدال ، وتوازن واتزان ، حتى وإن رماه الملاحدة بالتخلف والرجعية

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

والجمود ، ونسبوا لأنفسهم - حين نادوا بالديمقراطية وغيرها - الفلسفات والمناهج - أنهم أصحاب دعوات تطويرية وتحضرية وتقدمية ، وأنهم يريدون أن يعيشوا حضارة القرن العشرين ، ونحن بشر ولسنا ملائكة أولى أجنحة مثني وثلاث ورباع ، نصيب ونخطئ ، فإن وافقنا الحق فذلك فضل من الله ، وإن خالفناه فمن أنفسنا ومن الشيطان والله منه برئ .

ورب العزة جل وعلا لا يكلف نفساً إلا وسعها ، ولا يكلف عباده ما لا يطيقون . فالواجبات تسقط بالعذر والعجز وعدم الاستطاعة ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةً ﴾ ^(١) ، فالإسلام لا يغفل طبيعة الإنسان ، وتفاوت الناس فى مدى استعدادهم لبلوغ المستوى الرفيع الذى يرسمه لهم ، ولذلك فالطاعات تتفاوت من واجبات إلى مستحبات ، والمعاصى تتفاوت كذلك من أكبر الكبائر إلى الكبائر إلى الصغائر ، والتقوى لها أصل وأساس ، وهى أن يفعل العبد الواجبات وينتهى عن المحرمات ، فإذا فعل المستحبات وترك المكروهات فقد تمت تقواه لله عز وجل ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ ^(٢) ، والظالم لنفسه هو الذى غلبت سيئاته على حسناته ، وهذا قد يدخل النار ، ثم إذا دخلها فلا يدخلها دخول الكفار ، ولا يعذب فيها عذاب الكفار ، ولا يخلد فيها خلود الكفار ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ ^(٣٥) ما لكم كيف تحكمون ^(٣٦) ﴿ ^(٣) ، والمقصد هو الذى تساوى حسناته مع سيئاته ،

(١) سورة الحج الآية « ٧٨ » .

(٢) سورة فاطر الآية « ٣٢ » .

(٣) سورة القلم الآيات « ٣٥ ، ٣٦ » .

وهؤلاء يوقف بهم بين الجنة والنار ما شاء الله أن يوقف بهم ، ثم يؤمرون فيدخلون الجنة ، والسابق بالخيرات هو الذى غلبت حسناته على سيئاته ، وهؤلاء لا يدخلون الجنة لأول وهله ، فالعباد يتفاوتون تفاوتاً عظيماً فى الدنيا والآخرة ، وعن أبى مالك الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال : « أيها الناس اسمعوا واعقلوا واعلموا أن الله عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء على منازلهم وقربهم من الله » (١) .

وكما قالوا : حسنات الأبرار سيئات المقربين ، وقد ذكر ربنا جل وعلا أصناف الناس فى أكثر من موضع من كتابه منها سورة الواقعة وسورة المطففين ، والأولياء يتفاوتون أيضاً فى درجات الولاية بحسب إيمانهم وتقواهم ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) ﴿ (٢) ، والإيمان يتضمن الإسلام ويزيد عليه ، والإحسان يتضمن الإيمان ويزيد عليه ، ولذلك يقول تعالى : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ (٣) ، وهؤلاء كان معهم أصل الإيمان الذى منعهم من الدخول فى عداد المنافقين ، ولم يكن معهم الإيمان الكامل الذى يستحقون به الدخول فى هذا المعنى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (٤) .

(١) رواه أحمد ، وهو حسن ، وأخرجه الحاكم من حديث ابن عمر ، وقال : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي . قال الألبانى : وهو كما قال .

(٢) سورة يونس الآية « ٦٢ ، ٦٣ » .

(٣) سورة الحجرات الآية « ١٤ »

(٤) سورة الحجرات الآية « ١٥ » .

والعبد الذى يتابع الفرائض بالنوافل يصل إلى درجة المحبة ، كما فى حديث الولي : « وما تقرب إلى عبدى بشئ أحب إلى مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه » ^(١) ، والرجل عندما أتى النبي ﷺ يسأله عن الإسلام فبين له الرسول ﷺ أركان الإسلام ، فانطلق الرجل وهو يقول : والله لا أزيد ولا أنقص منه شيئاً ، فقال رسول الله ﷺ : « أفلح إن صدق » ^(٢) ، والمستوى الأرفع والأعلى حببت الشريعة إلى الناس بلوغه ، ولكن لم توجه عليهم ، والزامهم جميعاً به فى كل وقت فيه حرج ، والحرَج فى الشريعة مرفوع ، وهذا من واقعية الإسلام ، وهذا المستوى العالى يشمل المستحبات والمندوبات ، وترك المكروهات ، فالصلاة والصيام والزكاة والحج منها ما هو واجب ، ومنها ما هو مستحب ونافلة كصلاة والنوافل قبلها وبعدها ، وصيام رمضان الواجب ثم صيام الإثنين والخميس مثلاً مستحب .

وفى الاعتداء تجوز المعاقبة بالمثل ، والعفو والصبر أفضل ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ ^(٣) ، والكلام بالباطل حرام يجب تركه ، وهذا من معانى المستوى الأدنى ، ثم الثثرة وكثرة الكلام بما لا يفيد ولا ينفع مكروه ، وإن لم يكن فيه باطل ، لما ورد فى الحديث : « اتق الله حثماً كنت » ^(٤) ، وعن المغيرة بن شعبه رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ، ومنعاً وهات ، ووأد

(١) متفق عليه .

(٢) متفق عليه .

(٣) سورة النحل الآية « ١٢٦ » .

(٤) رواه أحمد ، والترمذى وحسنه ، والحاكم .

البنات ، وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » ^(١) ،
فالكلام الكثير بما لا ينفع مكروه وتركه أفضل ، وهذا من معانى المستوى
الأعلى .

وقد رخص الإسلام فى النطق بكلمة الكفر حال الإكراه بالتهديد بالقتل
مثلاً إلا أن العزيمة فى مواطن إظهار الدين أفضل ، ومن واقعية الإسلام إيجاد
المخارج فى أوقات الشدة والضييق أو فى أحوال الإضطراب ، كالفطر فى رمضان
للمريض والمسافر ، وإباحة الصلاة للمريض وهو قاعدة أو نائم « صل قائماً ،
فإن لم تستطع فقاعداً ، فإن لم تستطيع فعلى جنب » ^(٢) ، ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ
بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ ^(٣) ، وعن عائشة رضى الله عنها قالت :
« ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً ،
فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه فى شئ
قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم الله تعالى » ^(٤) .

وقد نهى الإسلام عن الإفراط والتفريط ، والغلو والجفو ، والإسراف
والتقصير ، وخير الأمور الوسط ، فلا رهبانية فى الإسلام ، وتعذيب الجسد
وتحميله ما لا يطيق ليس من مناهج الإسلام ، فلذلك لما سأل الثلاثة عن عبادة
رسول الله ﷺ ، فلما علموها وكأنهم تقالوها ، فقال الأول : أما أنا فأصوم ولا
أفطر ، وقال الثانى : وأما أنا أقوم ولا أنام ، وقال الثالث : وأما أنا فلا أتزوج
النساء ، فلما علم النبى ﷺ بذلك قال : « أما والله إنى لأتقاكم الله ، وأكثركم

(١) متفق عليه .

(٢) رواه البخارى .

(٣) سورة البقرة الآية « ١٨٥ » .

(٤) متفق عليه .

له خشية : أقوم وأنا ، وأصوم وأفطر ، وأتزوج النساء ، وهذه سنتي ، ومن رغب عن سنتي فليس مني » ^(١) ، أى ليس على هدى أو طريقتي المحمودة ، وليس له أيضاً أن يعيش حياة البهائم السائمة ، فيتلذذ بالحرام ولا يلتفت لدين ، بل الواجب أن تحل ما أحل الله ، وأن تحرم ما حرم الله ، وأن تعظم حرمة الله ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ ^(٢) ، ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ﴾ ^(٣) ، وأن نعيش حياة الاعتدال ، وقد قال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو : « ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل ، قلت : بلى يا رسول الله ، قال : فلا تفعل ، صم وأفطر ، ونم وقم ، فإن لجسدك عليك حقاً ، وإن لعينيك عليك حقاً ، وإن لزورك عليك حقاً ، وإن لزوجك عليك حقاً ، وإن لزورك - أى لمن يزورك من الأصدقاء - عليك حقاً » ^(٤) .

فيجب أن يحرص على شمول النظرة ، ونتأسى فى ذلك بخير القرون ، فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم عند الصلاة يصلون فى المسجد ، ويحرصون على إدراك تكبيرة الإحرام مع الإمام ، وفى حلقات العلم يجلسون معلمين ومتعلمين ، وعند الجهاد يقاتلون ، وعند الشدائد والمصائب يواسون ، ويساعدون ، وهكذا كان شأنهم فى جميع الأحوال ، فالخير كل الخير فى الرجوع لكتاب الله ، ولسنة رسول الله ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ ^(٥) ، ونحن

(١) متفق عليه .

(٢) سورة الحج الآية « ٣٢ » .

(٣) سورة هود الآية « ١١٢ » .

(٤) رواه البخارى ومسلم .

(٥) سورة الأحزاب الآية « ٢١ » .

فى هذا المنهج لا نحتقر طاعة ، ولا نستهن بمعصية وإن دقت ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ ^(١) ، ومعظم النار من مستصغر الشرر ، وفى
الحديث : « اتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق
الناس بخلق حسن » ^(٢) .



(١) سورة البقرة الآية « ٢٠٨ » .

(٢) رواه الترمذى وحسنه ، والحاكم .

بعض سمات الشخصية المطلوبة لمواجهة المشكلات

١ - الربانية أو الصبغة الإلهية ، وهذه الهداية نحتاجها في كل ناحية من نواحي الحياة ومع كل نفس من أنفاسنا في العقيدة والشريعة والأخلاق والحكم ، وهي تؤخذ من الإسلام وحده ولا يصح خلطها بالفلسفة ولا يمكن الحصول عليها من أديان منحرفة أو مبادئ ضالة ﴿ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى ﴾ (١) .

٢ - بصيرة وفرقان تميز بها بين الحق والباطل والإيمان والكفر ولا بد فيها من علم نافع وعمل صالح ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٠٨) ﴿ (٢) .

٣ - المسلم بشر يصيب ويخطأ ويحب ويغض يأكل ويشرب ويتزوج ويعمر الأرض بطاعة الله ، يعمل ويتكسب ويتطلع إلى السماء ولا ينسى أنه واقف على سطح الأرض فلا يبنى قصوراً في الرمال ولا يسبح في غير ماء يأخذ بالأسباب ويفوض الأمر كله لله ، ويعطي كل ذي حق حقه فلربه عليه حقاً ولنفسه عليها حقاً ولأهله عليه حقاً فالهروب من الحياة والانقطاع في الخرائب وتعذيب الجسد وتحريم ما أحل الله صور منكراً وقد قال النبي ﷺ لحنظلة « ساعة وساعة » وكررها (٣) .

٤ - العزة فلا كبر ولا غرور فالمسلم لا ترهبه صولة الباطل ولا عنفوان

(١) سورة البقرة الآية « ١٢٠ » .

(٢) سورة يوسف الآية « ١٠٨ » .

(٣) رواه مسلم .

الكفر، فلا يخجل من انتمائه للإسلام ولا من إظهاره لشعائره يبلغ شريعة الإسلام وعقيدته للناس كافة ، وهذه العزة مصدرها الإيمان لا الجنس أو اللون أو اللغة أو المال أو النسب ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) ، ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) .

٥ - التمسك بالحق والثبات عليه والمجاهدة في سبيله يتخوف على نفسه من المعصية ويتعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن يتضرع إلى ربه ويعلم أنه لا حول ولا قوة إلا بالله ويستصحب في سفره إلى ربه زاد التقوى ويصبر على ما أصابه ويعلم أن العاقبة للمتقين وأن النصر عقبى الصابرين .

٦ - الأوبة إلى الله فالمسلم شديد الحب لربه قوى التعلق به ، ويتمنى لقاءه سبحانه في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة ، يحدث لكل ذنب توبة ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) .

وختاماً نقول إذا كانت القوى الكافرة قد تسلمت زمام الأمور في ديار المسلمين فضلاً عن ديار الكفر فلكى نعيد للإسلام ما كان عليه فلا بد من إعادة الشخصية الإسلامية التي رأيناها في الرعيل الأول فبمثل أولئك الرجال أعلى الله كلمته وأعز دينه وأذل الشرك وأهله والله غالب على أمره و متم نوره ولو كره الكافرون .

(١) سورة المنافقون الآية « ٨ » .

(٢) سورة آل عمران الآية « ١٣٩ » .

(٣) سورة التوبة الآية « ١١٢ » .

هدى القرآن فى حل بعض المشاكل العالمية

قال الإمام الشنقيطى فى أضواء البيان ما نصه :

ومن هدى القرآن للتى هى أقوم ، هديه إلى حل المشاكل العالمية بأقوم الطرق وأعدلها ، ونحن دائماً فى المناسبات نبين هدى القرآن العظيم إلى حل ثلاث مشكلات ، هى من أعظم ما يعانىه العالم فى جميع المعمورة ممن ينتمى إلى الإسلام ، تنبهاً بها على غيرها :

المشكلة الأولى :

هى ضعف المسلمين فى أقطار الدينا فى العدد والعدد عن مقاومة الكفر . وقد هدى القرآن العظيم إلى حل هذه المشكلة بأقوام الطرق وأعدلها ؛ فبين أن علاج الضعف عن مقاومة الكفار إنما هو بصدق التوجه إلى الله تعالى ، وقوة الإيمان به والتوكل عليه . لأن الله قوى عزيز ، قاهر لكل شئ ؛ فمن كان من حزبه على الحقيقة لا يمكن أن يغلبه الكفار ولو بلغوا من القوة ما بلغوا .

فمن الأدلة المبينة لذلك : أن الكفار لما ضربوا على المسلمين ذلك الحصار العسكرى العظيم فى غزوة الأحزاب المذكور فى قوله تعالى : ﴿ إِذْ جَاءَكُمْ مِنَ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ١٠ ۝ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ١١ ۝ ﴾ (١) ، كَانَ علاج ذلك هو ما ذكرنا ؛ فانظر شدة هذا الحصار العسكرى وقوة أثره فى المسلمين ، مع أن جميع أهل الأرض فى ذلك الوقت مقاطعوهم سياسة

واقْتِصَاداً ، فإذا عرف ذلك فاعلم أن العلاج الذى قابلوا به هذا الأمر العظيم وحلوا به هذه المشكلة العظمى ، هو ما بينه جل وعلا بقوله : ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ (٢٢) ﴿ (١) .

فهذا الإيمان الكامل ، وهذا التسليم العظيم لله جل وعلا ، ثقة به ، وتوكلاً عليه ، هو سبب حل هذه المشكلة العظمى .

وقد صرح الله تعالى بنتيجة هذا العلاج بقوله تعالى : ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ (٢٥) وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ (٢٦) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّوها وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ (٢٧) ﴿ (٢) .

وهذا الذى نصرهم الله به على عدوهم ما كانوا يظنونهم ، ولا يحسبون أنهم ينصرون به وهو الملائكة والريح ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ﴾ ﴿ (٣) ، ولما علم جل وعلا من أهل بيعة الرضوان الإخلاص الكامل ونوه عن إخلاصهم بالإسم المبهم الذى هو الموصول فى قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ ﴿ (٤) ، أى من الإيمان

(١) سورة الأحزاب الآية « ٢٢ » .

(٢) سورة الأحزاب الآيات « ٢٥ - ٢٧ » .

(٣) سورة الأحزاب الآية « ٨ » .

(٤) سورة الفتح الآية « ١٨ » .

والإخلاص ، وكان من نتائج ذلك ما ذكره الله جل وعلا في قوله : ﴿ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ (٢١) ، فصرح جل وعلا في هذه الآية بأنهم لم يقدرُوا عليها ، وأن الله جل وعلا أحاط بها فأقدرهم عليها ، وذلك من نتائج قوة إيمانهم وشدة إخلاصهم .

فدلت الآية على أن الإخلاص لله وقوة الإيمان به ، هو السبب لقدرة الضعيف على القوى وغلبته ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٢) ، وقوله تعالى في هذه الآية : ﴿ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا ﴾ ، فعل في سياق النفي ، والفعل في سياق النفي من صيغ العموم على التحقيق ، كما تقرر في الأصول .

فقوله : ﴿ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا ﴾ ، في معنى لاقدرة لكم عليها ، وهذا يعم سلب جميع أنواع القدرة ، لأن النكرة في سياق النفي تدل على عموم السلب وشموله لجميع الأفراد الداخلة تحت العنوان ، كما هو معروف في محله .

وبهذا تعلم أن جميع أنواع القدرة عليها مسلوب عنهم ، ولكن الله جل وعلا أحاط بها فأقدرهم عليها ، لما علم من الإيمان والإخلاص في قلوبهم ﴿ وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (١٧٣) ﴿ (٣) .

المشكلة الثانية :

هي تسليط الكفار على المؤمنين بالقتل والجراح وأنواع الإيذاء مع أن المسلمين على الحق والكفار على الباطل .

(١) سورة الفتح الآية « ٢١ » .

(٢) سورة البقرة الآية « ٢٤٩ » .

(٣) سورة الصافات الآية « ١٧٣ » .

وهذه المشكلة استشكلها أصحاب النبي ﷺ ، فأفتى الله جل وعلا فيها ، وبين السبب في ذلك بفتوى سماوية تتلى في كتابه جل وعلا .

وذلك أنه لما وقع ما وقع بالمسلمين يوم أُحد . فقتل عم رسول الله ﷺ وابن عمته ، ومثل بهما ، وقتل غيرهما من المهاجرين ، وقتل سبعون رجلاً من الأنصار ، وجرح ﷺ ، وشقت شفته ، وكسرت ربايعيته ، وشج ﷺ .

استشكل المسلمون ذلك وقالوا : كيف ينال منا المشركون ؟ ونحن على الحق وهم على الباطل ؟ ! فأنزل الله قوله تعالى : ﴿ أَوْ لِمَا أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ ، فيه إجمال بينه تعالى بقوله : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا ﴾ ، إلى قوله : ﴿ لِيَتْلِيَكُمْ ﴾ (٢) .

ففي هذه الفتوى السماوية بيان واضح ، لأن سبب تسليط الكفار على المسلمين هو فشل المسلمين ، وتنازعهم في الأمر ، وعصيانهم أمره ﷺ ، وإرادة بعضهم الدنيا مقدماً لها على أمر الرسول ﷺ وقد أوضحنا هذا في سورة « آل عمران » ومن عرف أصل الداء عرف الدواء كما لا يخفى .

المشكلة الثالثة :

هي اختلاف القلوب الذي هو أعظم الأسباب في القضاء على كيان الأمة

(١) سورة آل عمران الآية « ١٦٥ » .

(٢) سورة آل عمران الآية « ١٥٢ » .

الإسلامية ، لاستلزامه الفشل ، وذهاب القوة والدولة ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ (١) ، وقد أوضحنا معنى هذه الآية في سورة الأنفال .

فترى المجتمع الإسلامى اليوم فى أقطار الدنيا يضمّر بعضهم لبعض العدواة والبغضاء ، وإن جامل بعضهم بعضاً فإنه لا يخفى على أحد أنها مجاملة ، وأن ما تنطوى عليه الضمائر مخالف لذلك .

وقد بين تعالى فى سورة « الحشر » أن سبب هذا البداء الذى عمت به البلوى إنما هو ضعف العقل : قال تعالى : ﴿ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾ (٢) ، ثم ذكر العلة لكون قلوبهم شتى بقوله : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٣) ، ولا شك أن داء ضعف العقل الذى يصيبه عن إدراك الحقائق ، وتمييز الحق من الباطل ، والنافع من الضار ، والحسن من القبيح ، لا دواء له إلا إنارته بنور الوحي ؛ لأن نور الوحي يحيا به من كان ميتاً ويضئ الطريق المتمسك به ؛ فيريه الحق حقاً والباطل باطلاً ، والنافع نافعاً ، والضار ضاراً ؛ قال تعالى : ﴿ أَوْ مِنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ (٤) ، وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ ﴾ (٥) ، ومن أخرج من الظلمات إلى النور أبصر الحق ، لأن ذلك النور يكشف له عن الحقائق فيريه الحق حقاً ،

(١) سورة الأنفال الآية « ٤٦ » .

(٢) سورة الحشر الآية « ١٤ » .

(٣) سورة الحشر الآية « ١٤ » .

(٤) سورة الأنعام الآية « ١٢٢ » .

(٥) سورة البقرة الآية « ٢٥٧ » .

والباطل باطلاً ، قال تعالى : ﴿ أَقْمَنَ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٢٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴾ (١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (٢٠) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴿ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾ (٣) ، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الإيمان يكسب الإنسان حياة بدلاً من الموت الذى كان فيه ، ونوراً بدلاً من الظلمات التى كان فيها .

وهذا النور العظيم يكشف الحقائق كشفاً عظيماً ؛ كما قال تعالى : ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٤) ، ولما كان تتبع جميع ما تدل عليه هذه الآية الكريمة من هدى القرآن التى هى أقوم يقتضى تتبع جميع القرآن جميع السنة لأن العمل بالسنة من هدى القرآن التى هى أقوم ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (٥) ، وكان تتبع جميع ذلك غير ممكن فى هذا الكتاب المبارك ، اقتصرنا على هذه الجمل التى ذكرنا من هدى القرآن للتى هى أقوم تنبيهاً بها على غيرها . والعلم عند الله تعالى .



-
- (١) سورة الملك الآية « ٢٢ » .
 (٢) سورة فاطر الآيات « ١٩ - ٢٢ » .
 (٣) سورة هود الآية « ٢٣ » .
 (٤) سورة النور الآية « ٣٤ » .
 (٥) سورة الجثر الآية « ٧ » .

مشاكل تفاوتت الأنظار والمناهج فى علاجها

﴿١﴾ هل نعالج المشاكل الاقتصادية بتحديد النسل !!!

لقد أصبحنا كالمستجير من الرمضاء بالنار ، وكالغیر يقتله الظمأ والماء فوق ظهوره محمول ، والداء يعالج بداء آخر ، وخرج المرضى ومن لافقه عنده ولا بصيرة لديه من الساسة والاقتصاديين والخبراء !! يصورون لنا أن المخرج من الضنك والفقر الاقتصادى يكمن فى تحديد النسل ، لأن زيادة السكان تستهلك كل زيادة فى الإنتاج ، ولم يعدم هؤلاء بعض قطاع الطريق إلى الله من الدين باعوا دينهم بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين ، فحللوا الحرام وحرموا الحلال وبرروا ببعض نصوص الشريعة ، هذا التصوير المريب وهذا الطغيان المادى .

بعض استدلالاتهم لتبرير هذه الدعوى الفاجرة :

ومن جملة ما استدلوا به ما رواه البخارى ومسلم من حديث جابر رضي الله عنه : « كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ فبلغ ذلك نبي الله ﷺ فلم ينهنا » وفى رواية « كنا نعزل والقرآن ينزل » وعن أبى سعيد الخدرى قال : « جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال إن لى وليدة - يعنى جارية - وأنا أعزل عنها وأنا أريد ما يريد الرجل ، وإن اليهود زعموا : أن الموءودة الصغرى العزل فقال رسول الله ﷺ : « كذبت يهود كذبت يهود ، لو أراد الله أن يخلقه لم تستطيع أن تصرفه » ^(١) ، وأيضاً عن جابر : « أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ

(١) رواه النسائى وأبو داود والترمذى وأحمد بسند صحيح .

فقال : إن لى جارية هى خادمنا وسانيتنا - أى تسقى لنا النخل - وأنا أطوف عليها - أى أجامعها - وأنا أكره أن تحمل فقال : أعزل إن شئت فإنه سيأتيها ما قُدِّرَ لها، فلبث الرجل ثم أتاه فقال : « إن الجارية قد حبلت فقال : قد أخبرتك قد حبلت فقال : قد أخبرتك أنه سيأتيها ما قدر لها » ^(١) .

العلاج كما ورد في الكتاب والسنة :

وعلى افتراض صحة الاستدلال بهذه النصوص فى هذه المسألة وهو لا يصح بإذن الله ، فعلاج الحالة الاقتصادية المتردية لا يقتصر على تحديد النسل وإلا فأين نحن كمسلمين من الدعاء وسؤال الله من فضله والتعوذ به من الفقر ومن المعلوم أن العبد إذا أُلهم الدعاء فإن الإجابة معه ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ^(٢) ، وكان النبي ﷺ يسأل ربه الهدى والتقى والعفاف والغنى ويتعوذ به من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وغلبة الدين وقهر الرجال ، ومن الأدعية الماثورة : « اللهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا وأصلح لنا ديانا التى فيها معاشنا وأصلح لنا آخرنا التى إليها معادنا واجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير واجعل الموت راحة لنا من كل شر » وكانوا إذا أجذبوا دعوا بدعاء الاستسقاء ، ومن أعظم أسباب سعة الرزق ، الاستغفار وذلك لقوله سبحانه : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝ (١١) ﴾ ^(٣) ، وورد أن : « من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً ورزقه من حيث لا

(١) رواه مسلم ، وقد ذهب الأئمة الأربعة وغيرهم إلى جواز العزل مع الكراهة .

(٢) سورة غافر الآية ٦٠ .

(٣) سورة نوح الآيات ١٠ ، ١١ .

يحتسب » ، قال العلماء : لو أن الخلق جميعاً أخذوا بها لكفتهم .

أثر المصايب في تدمير الاقتصاد :

المعصية سبب كل شر وبلاء في الدنيا والآخرة ، وما نزل بلاء إلا بذنب وما رُفِعَ إلا بتوبة كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقد حكى لنا سبحانه ما كان من قوم سبأ ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (١٧) ﴾ ^(١) ، ويقول سبحانه : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا (١٦) ﴾ ^(٢) ، ويقول تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (٣٠) ﴾ ^(٣) .

الطاعات من أعظم أسباب الرخاء :

وأكثر المعاني الإيمانية التي يجب علينا أن نأخذ بها ونربي عليها أنفسنا والناس من حولنا حتى نسعد في دنيانا وأخرانا كبر الوالدين فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من سره أن يُمَدَّ له في عمره ويزاد في رزقه فليبر والديه وليصل رحمه » ^(٤) ، قال البعض : بر الوالدين شكر لله تعالى لأن الله تعالى قال : ﴿ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾ ^(٥) ، فإذا برهما فقد

(١) سورة سبأ الآيات ١٥ - ١٧ .

(٢) سورة الإسراء الآية ١٦ .

(٣) سورة الشورى الآية ٣٠ .

(٤) رواه أحمد والبيهقي .

(٥) سورة لقمان الآية ١٤ .

شكرهما ، ومن شكرهما فقد شكر الله ، وقد قال فى تنزيله : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ ^(١) ، فهو سبحانه يتفضل بالزيادة للشاكرين فى الرزق وغيره ، والتوكيل على الأخذ بالأسباب مطلوب ومشروع لقوله سبحانه : ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ ^(٢) ، والاسترجاع من أعظم أسباب الأجر وذلك لقوله النبى ﷺ : « ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرنى فى مصيبتى وأخلف لى خيراً منها إلا أجره الله فى مصيبتة وأخلف لى خيراً منها » ، والاستعانة بالصبر والصلاة تسلية ، وأى تسلية وفى ذلك يقول العليم الخبير : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾ ^(٣) .

تربية الناس على معانى الإيمان :

تعويد الناس الأمانة والأكل بالحلال وإخراج الزكاة وإتقان العمل ومحبة الخير للآخرين وتحذيرهم من الخيانة والربا والأكل بالحرام والغش والرشوة وربط ذلك كله بالإيمان الذى ندين به لله تعالى ، هو من أبلغ الأسباب فى تحصيل المطلوب ولكن يبدو أن الساسة والاقتصاديين والخبراء نسوا ذلك كله أو تناسوه وتوهموا أن العلاج الاقتصادى فى تحديد نسل الأمة .

شروط لابد منها لتجويد النسل :

هناك شروط لابد منها فى جواز تحديد النسل ، منها : استئذان الزوج لأن له حق فى الولد ، واستئذان الزوجة الحرة لما رواه أحمد وابن ماجه عن عمر [

(١) سورة إبراهيم الآية « ٧ » .

(٢) سورة الطلاق الآية « ٣ » .

(٣) سورة البقرة الآية « ٤٥ » .

قال : « نهى رسول الله ﷺ أن يعزل عن الحرة إلا بإذنها » ومنها ألا يستتبع العزل أو الوسيلة المستخدمة في تحديد النسل ضرراً بالزوجة أو بالزوج وإلا حرم العزل حتى وإن رضيت الزوجة إذ الشرع لم يعط العباد الإذن في استلحاق المضرة بأجسادهم لقول النبي ﷺ : « لا ضرر ولا ضرار » ^(١) ، ولا يجوز قطع النسل بالكلية كما في حالات تعقيم الرجال أو ربط المبيض في المرأة دون سبب موجب لذلك ، إذ قطع النسل حينئذ مثله لا تجوز وقد نهى النبي ﷺ عن المثلة ، كما لا يجوز أن يكون التحديد خشية الفقر إذ هذا من سوء الظن بالله تعالى ، والنصوص التي وردت تبيح العزل لأبد من فهمها على ضوء بقية نصوص الشريعة ، ثم هي تتعلق بحالات فردية ، لا يصح معها أن نعمم دعوة تحديد النسل ترغيباً أو ترهيباً ، إن تصرف الحاكم أو الإمام منوط بالمصلحة ولا مصلحة للأمة في تقليل نسلها ؛ لقول رسول الله ﷺ : « تزوجوا الودود الولود فإنني مكاثر بكم الأمم » .

دعوات مربية :

فالحث على الزواج والتناسل يتنافى مع هذه الدعوات المربية التي يراد من ورائها تقليل نسل الأمة بغية إضعافها ؛ وبالتالي فلا يصح الاستجابة لمثل هذه الدعوات العامة والتي أصبحت على سبيل الحتم والإلزام في أماكن كثيرة وفي وقت يحرص فيه أعداء الإسلام على تكثير نسلهم واستغلال الطاقات البشرية في زيادة مظاهر الثروة ، وسيبقى الجواز بهذه الضوابط للحالات الفردية التي تدعوها المصلحة المعتبرة لذلك ، ومصيبة الاقتصاديين وغيرهم تكون كبيرة

(١) أخرجه مالك في الموطأ والحاكم والبيهقي والدارقطني وابن ماجه .

عندما يجهلون الدين والدنيا في آن واحد ، فلاهم عملوا بالمعاني الإيمانية ودعوا الأمة لذلك ، ولاهم طالبوا بتكثير نسل الأمة مع حسن استخدامه كمصدر من مصادر الثروة ، ولذلك فأمثال هؤلاء من نكبات الأمة بل هم من أسباب دمارها بسبب إلحادهم وطغيانهم المادى .

فهل أنتم مسلمون ؟!

انظر حين أعلن أهل مكة مقاطعة بنى هاشم ، وكان هذا فى أول الإسلام ، فانهازوا فى الشعب واشتد عليهم الأمر حتى أكلوا ورق الشجر فهل دعاهم الرسول ﷺ إلى تحديد النسل ، ولما نبذ المسلمون عهد المشركين ومنعواهم الحجى إلى مكة وكان فى ذلك تعطيل لأسواقها ومظنة فاقتهم وفقرهم نزل قوله سبحانه : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عِيلَةً فَسَوْفَ يَغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ ﴾ (١) ، فهل دعاهم سبحانه إلى تحديد النسل بقدر مواردهم أم وعدهم الغنى من واسع فضله ؟ فالأمر يحتاج إلى إيمان ، فهل أنتم مسلمون ، فإذا كانت الإجابة : نعم فلنترك النظم الوضعية كنظام ماركس ، والدعوات المستوردة كدعوة تحديد النسل : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾ (٢) .



(١) سورة التوبة الآية « ٢٨ » .

(٢) سورة الروم الآية « ٣٠ » .

﴿٢﴾ إشكالية تربية الأولاد وأزمة الجيل الناشئ

لا يدخر الآباء وسعاً في القيام على مصالح أبنائهم المادية ، من طعام وشراب وملبس ومسكن ، وتعليمهم أيضاً الطب والزراعة والهندسة ...

بل ومساعدة الأبناء أحياناً في الزواج ويرون بعد ذلك أنهم قد أدوا كل ما عليهم وما عسى الواحد منهم إلا أن يموت قرير العين ، ومن عجيب الأمر أن الوالد لا يمل أبداً من نصح ابنه بالذاكرة وإتقانها حتى يتفوق في دراسته بينما هو لا يكلف نفسه أن ينصحه مرة بالمحافظة على الصلاة أو تلاوة القرآن أو غض بصره عن الحرام ، وإذا قيل له في ذلك : قال : كل إنسان معلق من عرقوبه !!! وهذا الذي نحكيه ليس خيالياً ، ولا هو حالة فردية بل هذه حالة الأعم الأغلب من الآباء ، كلهم يفرح لنجاح ولده في الامتحان وحصوله على الشهادة الجامعية ويحزن بشدة لرسوبه في دراسته بينما هو لا يحزن إذا فرط ابنه في صلاته ، بل قد يصده ويصرفه عنها بزعم أنها ستضيع وقته !!! .

عقنناهم صغاراً فعقونا كباراً :

إنها إضاعة للأمانة وصورة فجّة من صور المادية المعاصرة ، وإهدار لمعاني التربية الإيمانية الصحيحة ، وعقوق للأبناء ولذلك لا نستغرب إذا عقونا كباراً لقد انفصلت الدنيا عن الآخرة ، وأصبحت الدنيا هي كل همنا ومبلغ علمنا ، وتوهمنا مع ذلك كله أننا نحسن الصنع ونؤدى واجبنا بأمانة وإتقان !! أين نحن من قول الله تعالى : ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ ^(١) ، ومن الحديث « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » ؟! .

ولن نزول قدما ابن آدم من عند الله حتى يسأل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع ، وقد أمر سبحانه بأداء الأمانة فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ ^(١) ، وقال سبحانه : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (٧٢) ^(٢) ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « آية المنافق ثلاثة : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان » ^(٣) ، وفي رواية : « وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم » .

لا بورك في دنيا تأتي على حساب الدين :

لا مانع أبداً من اتقان الدراسة والأخذ بأسباب النجاح والفرحة بالحصول على الشهادة الجامعية ، ولكن أين الحرص على الصلاة والتقوى والتزام طاعة الوقت من صلاة وتلاوة للقرآن ... وهل هناك تعارض في ذلك ؟! كلا : فلكل مقام مقال ، ولا بورك في دنيا تأتي على حساب الدين والوالد جزاه الله خيراً على إحسانه لأولاده بالطعام والشراب والمسكن ، ولكن أين حرصه على إقامتهم على دين الله ، وقيادة المنزل قيادة إسلامية ، وتربيتهم على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وزجرهم عن مخالفة الشرع الحنيف ؟! .

الولد من هسي والديه وكسبهما :

فالولد الصالح هو خير ثروة للإنسان في حياته وبعد مماته ولذلك يقول النبي ﷺ : « إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم

(١) سورة النساء الآية « ٥٨ » .

(٢) سورة الأحزاب الآية « ٧٢ » .

(٣) متفق عليه .

يُنتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ » ^(١) ، والذرية الصالحة يُجمع شملها مع آبائها الصالحين في الجنة ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ ^(٢) ، وفي تفسير قوله سبحانه : ﴿ وَنَكْتَبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ﴾ ^(٣) ، ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ ^(٤) ، قال العلماء : إن ابن الإنسان من سعيه وكسبه وهو من جملة آثاره ، ولذلك فعمله الصالح ينتفع به الوالدان دون أن ينقص من أجره شيء ، ولو أساء الابن فعليه إساءته طالما قاما بحقه في التربية الصالحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ ^(٥) .

بعض أسباب صلاح الأبناء :

ومن دعاء المؤمنين : ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ ^(٦) ، وقد استحب العلماء الفتح على الصبي بكلمة الحمد والشهادة وتعليمه معاني السيرة وتحفيظه القرآن والحديث وتعويده الأخلاق والأدب الإسلامية ، وفي وصية لقمان لابنه : ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ ^(٧) .

-
- (١) رواه مسلم .
 (٢) سورة الطور الآية « ٢١ » .
 (٣) سورة يس الآية « ١٢ » .
 (٤) سورة النجم الآية « ٣٩ » .
 (٥) سورة النجم الآية « ٣٨ » .
 (٦) سورة الفرقان الآية « ٧٤ » .
 (٧) سورة لقمان الآية « ١٧ » .

حُسن اختيار الزوجة :

وحرص المسلم على الولد الصالح يجعله يُحسن اختيار الزوجة وأن تكون ذات دين ولأن المرأة راعية في بيت زوجها مسئولة عن رعيته وكما قال الشاعر :

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

هذه الأم سترى ابنها على البر والخير وعلو الهمة كحالة هند بنت عتبة عندما دخل عليها أحد أقاربها وكانت تحمل صغيرها معاوية بن أبي سفيان ، فقال لها : « إن عاش معاوية ساد قومه » فقال : « ثكلته إن لم يسد إلا قومه » وكحالة أم سفيان الثوري التي قالت لابنها : يا بني اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي ، وكانت تتخوله ^(١) ، بالموعظة والنصيحة وتقول له : « يا بني إذا كتبت عشرة أحرف فانظر هل ترى في نفسك زيادة في خشيتك وحلمك ووقارك ، فإن لم تر ذلك ، فاعلم أنها تضرك ولا تنفعك » .

أهمية الدعاء والذكر في ذلك :

ثم هو يستن بسنن الأنبياء والمرسلين في دعائهم وسؤالهم ربهم الولد الصالح كما في دعاء زكريا ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۖ ﴾ (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿ ٦ ﴾ (٢) ، والعبد إذا ألهم الدعاء فإن الإجابة معه ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (٣) ، ولا ينسى ما أمره رسول الله ﷺ به إذا تزوج أحدكم امرأة أو اشترى خادماً ، فليقل : « اللهم إني أسألك

(١) تتابعه من حين لآخر .

(٢) سورة مريم الآيات « ٥ ، ٦ » .

(٣) سورة غافر الآية « ٦٠ » .

خيرها ، وخير ما جبلتها عليه ، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه ،
وإذا اشترى بعيراً ، فليأخذ بذروة سنامه وليقل مثل ذلك » (١) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « لو أن أحدكم إذا
أتى أهله قال : بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا
ففضى بينهما ولد لم يضره الشيطان أبداً » (٢) .

الآذان والتحنيك :

ويؤذن في أذن المولود عند ولادته ، لما رواه أبو رافع رضى الله عنه قال : « رأيت
النبي ﷺ أذن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة رضى الله عنها
بالصلاة » (٣) ، ويحرص على تحنيك (٤) المولود ، فعن أبي موسى رضى الله عنه
قال : « ولد لى غلام فأتيت به النبي ﷺ فسماه إبراهيم ، وحنكه بتمرّة ودعا
له بالبركة ودفعه إليّ » (٥) ، وقالت عائشة رضى الله عنها : « كان رسول الله
ﷺ يؤتى بالصبيان فيدعو لهم بالبركة ويحنكهم » (٦) .

الصقيقة وحسن اختيار الاسم :

ثم هو يختار لابنه اسماً حسناً ، لما رواه أبو داود رضى الله عنه قال : قال رسول
الله ﷺ : « إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وبأسماء آبائكم فأحسنوا
أسماءكم » (٧) ، وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :

(١) رواه أبو داود وحسنه الألبانى .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه الترمذى ، وقال : حسن صحيح .

(٤) أن يقوم من يظن فيه الصلاح بمضغ تمر وأخذ بعضه المختلط بريقه ليوضع فى فم الصبي .

(٥) متفق عليه .

(٦) رواه أبو داود وصححه الألبانى إسناده .

(٧) رواه أبو داود بإسناد حسن .

« إن أحب أسمائكم إلى الله عز وجل عبد الله وعبد الرحمن » ^(١) ، والعقيقة عن المولود مسنونة عند الاستطاعة ، عن الغلام شاتان وأدناها واحدة ، وعن الجارية شاة واحدة ، وعن سلمان بن عامر الضبي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مع الغلام عقيقة ، فأهريقوا عنه دماً وأميطوا الأذى » ^(٢) .

تأهّد الأبناء بمعاني التربية :

وكانوا يحرصون على تربية أولادهم تربية إسلامية متكاملة ، خلقياً وفكرياً وجسمانياً ويغرسون فيهم معاني الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، ويعودونهم حب الله ورسوله ﷺ ومراقبة الله تعالى في السر والعلن ويعلمونهم أحكام الحلال والحرام ويجنبونهم الكذب والسرقة والسباب والشتائم والخلطة الفاسدة والميوعة والانحلال والقذوة السيئة ، ويستحثونهم على الرياضيات البدنية النافعة ، ولذلك كان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يقول : « علموا أولادكم السباحة والرماية ومروهم فليشبوا على ظهور الخيل وثباً » .

دور المربي الصالح :

وكان الآباء يدفعون بأبنائهم إلى المربين ويزودونهم بالنصائح ، فقد روى الجاحظ أن عقبة بن أبي سفيان ، لما دفع ولده إلى المؤدب قال له : « ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بنى إصلاح نفسك ، فإن أعينهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما استحسنت ، والقبيح عندهم ما استقبحت ، وعلمهم سير الحكماء ، وأخلاق الأدباء ، وتهددهم بي ، وأدبهم دوني وكن لهم كالطبيب

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه البخاري .

الذى لا يعجل الدواء حتى يعرف الداء ولا تتكلن على عذر منى ، فإننى قد اتكلت على كفاية منك » ، ولما دفع هارون الرشيد ولده الأمين إلى المؤدب قال له : « أقرئه القرآن وعرفه الأخبار ، وروِّه الأشعار وعلمه السنن ، وبصره بمواقع الكلام وبدئه ، وامنعه من الضحك إلا فى أوقاته ، ولا تُمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ، ولا تمنع فى مسامحته ، فيستحلى الفراغ ويألفه ، وقومُه ما استطعت بالقرب والملاينة فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة .

مخاطر عظيمة تهدد صغارنا :

ومن الخطر العظيم أن نترك أولادنا لوسائل الإعلام الخربة كالتلفزيون ونحوه ، ومناهج التعليم العلمانية اللادينية وأبناء الأقارب والجيران الفاسدين والمجلات والبرامج التى تعود الأطفال الخياليات والخرافات والخزعبلات وحياة الأساطير ، فلا بد من تعاهدهم بكل صور الحفظ والصيانة ، لأنهم أمانة بين أيدينا ، ولتعلم أن قلبك وقلوبهم بيد الله سبحانه وما علينا إلا أن نأخذ بالأسباب الشرعية ونتوكل على خالق الأرض والسموات فى جلب النفع ودفع الضر ، وكان سعيد بن المسيب يطيل فى صلاته ويقول لابنه : والله إنى لأطيل فى صلاتى رجاء أن أحفظ فىك ويتلو- قوله سبحانه : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ ^(١) ، فحفظ الأبناء بصلاح الآباء فاحفظ الله يحفظك ، واسأل الله من فضله فالخير كله بيديه والشر ليس إليه .

﴿ ٣ ﴾ مكن الداء في معظم مشاكل الزواج

كانت أم المؤمنين عائشة رضی الله عنها تقول : « النكاح رِقٌ فليُنظر أحدكم عند من يسترق كريمة » (أى ابنته) ، ولما سئل الحسن : « من أزوج ابنتي ؟ قال : زوجها التقى النقي فإنه إن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يهنها » . وروى الترمذی بإسناد حسن عن أبي حاتم المزني أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » ... قالوا يارسول الله : وإن كان فيه ! قال : « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه - ثلاث مرات - ومن زوج ابنته من فاسق فكأنما قطع رحمها »

معنى الكفاءة :

الكفاءة معتبرة بالاستقامة والخلق والحرص على طاعة الله ، ولا بد من تحريها في المتقدم للزواج من ابنتنا لأنها أمانة يحرم إضاعتها أو التفريط فيها ، وإن كان جمهور الفقهاء لا يقصرون الكفاءة على ذلك ، بل يرون أن ثمة أموراً أخرى لا بد من اعتبارها كالنسب والحرية والحرفة والمال والسلامة من العيوب ، إلا أنه ليس معنى ذلك إهدار أمر الاستقامة بل هو أولى ما ينظر إليه بعين الاعتبار في المتقدم للزواج .

انهيار الوالدين عند الكثرة :

من الملاحظ أن الكثرة من المسلمين بينما تدقق النظر في الراتب والمسكن المناسب والعمل المناسب وهيئة وشكل المتقدم إلا أنها لا تكاد تلتفت لصلاته ولا لعقيدته ... بل بعض الأولياء إذا ما سئل هل من قبلته زوجاً لابنتك يصلى

أم لا ؟ يجيب ويقول : خجلت من سؤاله في ذلك ، بينما هو لم يخجل من سؤاله عن دخله الشهري ... وغير ذلك من المعانى المادية ؛ ولذلك لا نستبعد أبداً أن يأمرها الرجل بعد الزواج أن تخلع نقابها أو حجابها أو يأمرها بترك صلاتها أو مصاحبة أصدقائه والتزين أمامهم ، وقد كان عمر رضي الله عنه يبعث لولاته ويقول لهم : ألا إن أهم أموركم عندى الصلاة ، ألا إن من ضيع الصلاة فهو لما سواها أضيع وهل مثل هذا يؤتمن على نفسه فضلاً عن أن يؤتمن على غيره ؟! وهذا الذى يمتلك السيارات والملايين هل تأمن عليه أن يبددها فى شرب الهيروين ولعب القمار ... !!؟ وهل تأمن عليها من أن تتحول إلى عقيدة شيعية أو صوفية أو خارجية أو إلحادية بسبب تسلطه على عقلها أو أن تخلع حجابها وتترك صلاتها بسبب قهره لها ؟!

رفع الأمانة من القلوب :

قد بين النبي ﷺ كيف ترفع الأمانة من القلوب وأنه لا يبقى منها فى القلب إلا أثرها ؟ ، روى حذيفة رضي الله عنه قال : « حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا أن الأمانة نزلت فى جذر « أصل » قلوب الرجال ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة وحدثنا عن رفعها قال : ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوكت ثم ينام النومة فتقبض فيبقى أثرها مثل الجمل (هو ما يكون فى الكف من أثر العمل بالأشياء الصلبة الخشنة) ، كجمر دحرجته على رجلك فنقط (بثرة ملأى ماء) فتراه منتبهاً (تورم وامتلاً بالماء) وليس فيه شئ فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحدهم يؤدى الأمانة فيقال : إن فى بنى فلان رجلاً أميناً ، ويقال للرجل ما أعقله وما أظرفه وما أجلده وما فى قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ، ولقد أتى على زمان وما أبالى أياكم بايعت ، لئن كان مسلماً رده

على إسلامه ، وإن كان نصرانياً رده على ساعيه ، فأما اليوم فما كنت أبايع إلا فلانا وفلانا ^(١) ، وما أكثر مظاهر تضييع الأمانة ، وما أكثر الموازين الفاسدة في حياة الناس وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة » ، قال : كيف إضاعتها يا رسول الله ؟ قال : « إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة » ^(٢) .

ماذا تصنع الفتاة إذا أراد الولي تضييعها؟!

فإذا ضيع من يتولى أمر الناس الأمانة ، والناس تبع لمن يتولى أمرهم كانوا مثله في تضييع الأمانة ، فصلاح حال الولاية صلاح حال الرعية وفساده فساد لهم ، ثم إن إسناد الأمر إلى غير أهله دليل واضح على عدم اكتراث الناس بدينهم حتى إنهم ليولون أمرهم من لا يهتم بدينه ، ولكن ماذا تصنع الفتاة وهذا هو وليها شاءت أم أبت ولا نكاح إلا بولي ؟ .

إذا أعزلها الأقرب عن زواج الكفو الصالح ، زوجها الولي الأبعد ، والحاكم ولي من ولا ولي له ، وإن تخربت الموازين عند الولي فليس لها أن تفرط في حق نفسها وعليها أن ترفض الزواج بتارك الصلاة ومن لا يقيم لشرع الله وزناً حتى وإن كان عنده الملايين والسلامة لا يعدلها شيء ، ودين الإنسان هو أغلى ما يملك ، والدنيا بأسرها لا تصلح عوضاً عن معنى من معاني الآخرة .



(١) رواه البخاري .

(٢) رواه البخاري .

﴿ ٤ ﴾ طريقة فض الخصومات والمشاحنات والمنازعات

أصبح الإنسان المعاصر لا يفكر إلا في عضلاته وجوارحه ويعول على حوله وطوله ويتباهى بعقله ورأيه وينزل في حكمه على العرف والعادة ، وكلها من أسباب نكده وتعاسته ، وصورة من صور الطغيان المادى الذى أصبح يجرى منا حتى النخاع ، ويحدث على مستوى الأفراد والدول والجماعات . إذا حدثت الخصومة أو ثارت مشكلة ، فالأعراف لا تقتصر على أعرافنا بل تتعدها إلى الأعراف الدولية ، وهناك شريعة لأهل البوادي « سَلَوَهُم » وشرعية دولية ، ونظام لكل دولة ثم النظام العالمى الواحد ، إذا كان هذا هو مسلك من كفر بالله أو انحرف عن منهجه سبحانه فإن المسلم له شأن وللناس شأن ، لأنه يؤمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً ، ولذلك فهو يعلم أنه لا حول ولا قوة إلا بالله وأنه لا تغير من حال إلى حال إلا بفضل الله .

للمسلم شأن وللناس شأن :

ولذلك إذا حدثت المشكلة أو ثارت الخصومة فهو يدعو ربه لمعرفة أن العبد إذا ألهم الدعاء فإن الإجابة معه ويستغفر ربه ، ولأن من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب ، ويسترجع لقول النبى ﷺ : « ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله ، إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتى وأخلف لى خيراً منها إلا أجره الله فى مصيبتيه وأخلف له خيراً منها » (١) . كما أنه يحرص على طاعة ربه فهى سبب كل خير وصلاح ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ

(١) رواه مسلم ومالك وأبو داود .

حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴿١﴾ ، قال العلماء : لو أن الخلق جميعاً أخذوا بها لكفتهم وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ (٢) ، فمن كان الله معه فمن عليه ، معه الفئة التي لا تغلب والحارس الذي لا ينام والهادى الذى لا يضل : ﴿ إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (٣) ، ويقلع المسلم عن المعاصى والذنوب فهى سبب التسليط وحلول المصائب بالبلاد والعباد : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ (٤) ، وكان بعض العلماء يقول إني لأعصى الله فأعرف ذلك فى خلق دابتي وخادمي وامراتي ، فياليتنا نتهم أنفسنا قبل اتهام الآخرين ويقول كل منا لنفسه منك أوتيت ، ثم لا بد من العفو والصفح وكظم الغيظ لقوله سبحانه : ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ (٥) ، فنقول بلى ياربنا على كثرة خطايانا نحسب أن تعفو عنا ، فكذلك إذا ثارت الخصومة مع الزوجة أو غيرها وقالوا : كن كالشجر يُقَذَّف بالحجر فيلقى الثمر : ﴿ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٦) ، فلا يجوز مواجهة الخطأ بالخطأ ولا المعصية بالمعصية ، فقد أمرنا أن نتقى الله فيمن لا يتقى الله فينا ، وأن نعدل فيمن جار علينا وأن نعين العباد على طاعة الله بدلاً من إعانة الشياطين على نفوسهم ، كما أنه لا بد من الاستعانة

(١) سورة الطلاق الآية « ٢ ، ٣ » .

(٢) سورة النحل الآية « ١٢٨ » .

(٣) سورة محمد ﷺ الآية « ٧ » .

(٤) سورة الشورى الآية « ٣٠ » .

(٥) سورة النور الآية « ٢٢ » .

(٦) سورة آل عمران الآية « ١٣٤ » .

بالصبر والصلاة : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ (٤٥) ﴿ (١) ، والواجب علينا أن نرد الحقوق لأصحابها ونتحلل من حقوق الآدميين وننزل على حكم الله تعالى .

رد حكم ما تنازعنا فيه لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ :

يقول سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (٥٩) ﴿ (٢) ، فمن مقتضيات الإيمان أن نرد حكم ما تنازعنا فيه لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، لا نرده للعرف والعادة ، ولا نرده للعقل ولا للرأى ، ولا نُحكِّم النظم الوضعية والقوانين الطاغوتية الكفرية ولا نلتفت للنظام العالمى الواحد ولا للأمم المتحدة إذا خالفت قوانينها حكم الله جلا وعلا ، فالدين ما شرعه سبحانه لا هذه الشرعية الدولية المزعومة ، والواجب على المسلمين أن يذعنوا لأمر ربهم وأن يخضعوا لحكمه ، إن كانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر وإلا فليتخذوا لهم رباً سواه : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾ (٣) ، وقال سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ (٣٦) ﴿ (٤) ، فليس لنا أن نختار مع الله أو مع رسول الله ﷺ ، بل حكى الشافعى إجماع الصحابة فمن بعدهم على أنه من

(١) سورة البقرة الآية « ٤٥ » .

(٢) سورة النساء الآية « ٩٥ » .

(٣) سورة الشورى الآية « ٢١ » .

(٤) سورة الأحزاب الآية « ٣٦ » .

استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس أياً كان وقال سبحانه : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ (٦٥) ﴿ (١) ، إنه التسليم لحكم الله ظاهراً وباطناً ﴿ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٥٠) ﴿ (٢) ، فلا نجد غضاضة ولا ضيقاً ولا حرجاً من حكمه سبحانه ، وسواء كانت الخصومات على مستوى الأفراد أو الدول والجماعات ، بل أهل الكتاب إذا رفعوا إلينا قضية أو كانت الخصومة بينهم وبين المسلمين حكمنا فيهم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، ولا بد من الحذر من أن نتصف بصفة المنافقين الذين وصفهم ربنا بقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيداً ﴾ (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً ﴾ (٦١) ﴿ (٣) ، فسماهم ربنا منافقين رغم ادعائهم للإيمان .

نصائح غالية تصلك بالناس :

من السهل اليسير أن نهدم علاقاتنا بالآخرين إذا تجارى الإنسان مع هواه أو وساوس الشياطين فلنكن على حذر وتعوذ بالله من الشيطان الرجيم

(١) سورة النساء الآية « ٦٥ » .

(٢) سورة النور الآية « ٤٩ ، ٥٠ » .

(٣) سورة النساء الآية « ٦٠ ، ٦١ » .

﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾ (١) ، وقل كما قال أبو بكر : « والله أنا كنت أظلم » أو كما قال الرجل الذي أصبح النبي ﷺ بينه وبين خصمه : « حقي لأخي » وإذ كنت غاضباً فاجلس وإلا فقم أو قم وتوضأ فسيذهب غضبك وتنتهي المشكلة بسلام بإذن الله ، ولا داعي للفجر في الخصومة فإن من خصال المنافقين : « إذا خاصم فجر » والطاعة مطلوبة في العسر واليسر والمنشط والمكره ، فلا تكن ممن يعبد الله على حرف ، ولا تنسى قيمة الهدية في غرس معاني المحبة : « تهادوا تحابوا » وادفع بالتى هي أحسن السيئة ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن . وجماع حسن الخلق أن تعطى من حرمك وأن تصل من قطعك وأن تعفوا عمن ظلمك ، وتذكر أن خير المتقاطعين من يبدأ السلام .



﴿٥﴾ التخصصات انفصلت عن معاني الإيمان

فزادت المشاكل حدة

ماهى الصبغة التى انصبغ بها الفلكى والسياسى والمدرس والطبيب والأديب والمفكر والمربى ومن يقوم بحل مشاكل الناس ؟! وهل هذه المهام والمهن تشبع أهلها بروح الإيمان ؟! وحتى إن صلوا وصاموا وزكوا وحجوا فهل علموا أن معنى العبادة شامل لعملهم ولا بد من الاستقامة فى هذه الأعمال على الكتاب والسنة ؟! .

انقسامات مربية :

لا يخفى عليك كيف انفصلت الأرض عن السماء والدنيا عن الآخرة والروح عن الجسد وبعض العبادات عن البعض الآخر وبعض الرجال عن البعض الآخر وبعض الساعات عن البعض الآخر ، بعد أن كانت كلها حسبة واحدة وتوزن بميزان واحد ، فلا فاصل بين الأرض والسماء ، فعملك هنا ونظرك فى السماء ، والأرض تستقيم على الوحي المنزل ، وعملنا هنا وحساباتنا حسابات أخروية ، ولأننا نتنقل من حياة إلى حياة فالدنيا أمامنا ممتدة زماناً إلى أبد الآبدين ومكاناً لجنة فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشكر ، والنبي ﷺ يقول : « إذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها فإن له بذلك أجره » ، ووسع فى مفهوم الصدقة فقال : « تبسمك فى وجه أخيك صدقة » ، والعبادة مفهوم واسع لكل ما يحبه الله ويرضاه ، والنبي ﷺ بعد أن أقام المسجد دخل السوق ونظمه .

أصبحنا نعيش بوجهين وبمفهوميين :

والرجال كلهم يجب أن يستقيموا على أمر ربهم فى أقوالهم وأفعالهم وحركاتهم وسكناتهم سواء كانوا حكاماً أو محكومين ... فلكيين أو مفكرين ، لقد نشأت أجيال وطوائف تعيش بوجهين وبمفهوميين وبولاءين ، وجه لها فى المسجد فيه أمارات التقى وعلامات الصلاح والثانى فى السوق فيه الربا والغش وكل صور الضياع ويتوهمون بذلك أنهم قد أدوا كل ما عليهم وقس على ذلك بقية المهن والأعمال وما عسى الواحد من هؤلاء بعد ذلك إلا أن يموت قرير العين وكأنه أدى ما عليه من أمانة وأكل بعرق جبينه كما يقولون !! .

ساعة لربك وساعة لنفسك :

وتولدت المقولة : « ساعة لربك وساعة لنفسك » تبريراً للمعاصى والفجور وتقليداً لمنطق الجاهلية الأولى : « اليوم الخمر وغداً أمر » وقالوا « دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله » وقصروا بدورهم معنى الإسلام والعبادة والطاعة على مجرد الصلاة والصيام والزكاة والحج وهذا فى أحسن وأصلح أحوالهم وإلا فهناك جمهرة كبيرة تعيش بالنوايا الطيبة والقلوب البيضاء حتى دون صلاة ولا صيام!! ويقولون : ربك رب قلوب وهؤلاء أشبه بالمرجئة الذين فصلوا العلم عن العمل وقالوا : لا يضر مع الإيمان ذنب .

الكفر بالله للحاق بركب الحضارة والتقدم :

وأفسد من هؤلاء وأولئك من كفر بخالق الأرض والسموات وترك دين ربه وراءه ظهرياً بزعم اللحاق بركب الحضارة والمدينة وظناً منه أن الدين يقف معترضاً فى طريق العلم كحالة الكنيسة مع العلم المادى التجريبي فى أوربا ، فوصف بعض بنى جلدتنا دين الله بأنه رجعية وتخلف وجمود ... وهؤلاء

راجت عليهم حيل التغريب وتخيل الغزو الفكرى ، وإلا فديننا يأمرنا بالأخذ بأسباب القوة : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ ^(١) ، « والمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » ، كما فى الحديث : والعلوم النافعة تؤخذ من كل من أفلح فيها كالزراعة والصناعة والهندسة والطب ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْرَمُ ﴾ ^(٢) ، أى التى هى أسد وأعدل فى كل ناحية من نواحى الحياة ، أما علوم الهداية فلا تؤخذ إلا من الكتاب والسنة ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ ^(٣) ، والعبادات تؤخذ دون زيادة أو نقصان ، أما المعاملات : فالأصل فيها الإباحة إذا روعيت ضوابطها الكلية مثل لا ضرر ولا ضرار ، إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، فطالما لا تتصادم وسائل التطور والتقدم مع ما جاء فى الكتاب والسنة فلا حرج فى اعتبارها والأخذ بها .

حالة الفلكى المعاصر :

وبعد هذا الإجمال والاختصار فلو نظرنا فى المهمات والأعمال لوجدنا عجباً فالفلكى يتكلم فى إثبات الرؤية بالحساب الفلكى دون الالتفات لقوله سبحانه : ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ ^(٤) ، ولا علاقة له بقول النبى ﷺ : « صوموا لرؤيته منكم وأفطروا لرؤيته » ويتكلم بمقياس رينختر وكأنه لم يسمع ولم يقرأ عن عظيم قدرة الله وأن خالق الأسباب قادر على تعطيلها ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ^(٥) ،

(١) سورة الأنفال الآية ٦٠ .

(٢) سورة الإسراء الآية ٩٠ .

(٣) سورة المائد الآية ٣ .

(٤) سورة البقرة الآية ١٨٥ .

(٥) سورة يس الآية ٨٢ .

ويستهجن بشدة الحديث عن آثار الذنوب والمعاصي في حدوث الزلازل ، فهي عبارة عنده عن عدم استقرار في القشرة الأرضية ... وبكل جرأة وكذب سيقول الزلازل لن يتكرر مرة ثانية أو لن يحدث بالليل كما سمعنا !! ولا يردعه رادع من أن يتكلم عن المطر الغزير الذى سيحدث غداً والرياح الشمالية العكسية ... ولا يمكن أن يتنزل مثلاً ويعلق الأمر على المشيئة ويقول إن شاء الله ، بل سيسخر من ذلك سخرية شديدة ، لأنها حسابات علمية عنده !! حتى وإن استبان للناس خطأه مرات ومرات فلا مطر حدث ولا رياح هبت وفي الحديث : « من قال مطرنا بنوء كذا فذلك كافر بى ، مؤمن بالكوكب » .

سياسي مكيا فيلي :

والسياسي لا علاقة عنده بدين الله فالسياسة شئ والدين شئ آخر ، أو بتعبير آخر لا دين فى السياسة ولا سياسة فى الدين ، ويعبر البعض بتعبير آخر على سبيل الاستهجان فيقول : تدين السياسة وتسييس الدين ، ومن المعلوم شرعاً أن هذا هو أقصر طريق إلى الكفر كما قال العلماء ، فلا فاصل بين الدين والسياسة ، إذ الخلافة موضوعة لإقامة الدين وسياسة الدنيا به : ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴿ (١) ، فالإسلام شامل لكل ناحية من نواحي الحياة سواء كانت سياسة أو اقتصادية أو اجتماعية أو أخلاقية ، والنبي ﷺ حكم الأمة فى

حربها وسلمها وأبرم المعاهدات وأتم المفاوضات ونزل فى ذلك كله على وحى ربه ، ولذلك فلسنا بحاجة لسياسات مكيايلية تبرر الغاية فيها الوسيلة فوسائلنا مشروعة وغاياتنا يجب أن تكون محمودة ، ولنعلم أن النظم الإدارية لا حرج فيها إذا لم تتصادم مع الشرع وكان من شأنها تحقيق مصلحة العباد .

مدرس أشبه بلوحة نخرة :

والمدرس ، قد يكون أشبه بلوحة نخرة فى سفينة فى عرض المحيط فهو لم ينصبغ أثناء دراسته بحياة الإيمان ، ولا هو وضع طاعة ربه نصب عينيه بعد أن تقلد مهمة التدريس ، والتعليم عندنا إما تعليم علمانى أو تعليم تبشيرى ، وعلى المدرس أن يجتهد وأن يعرق فى نقل حضارة الفراعنة ونظرية دارون والخصائص الطبيعية وزعامة سعد زغلول ومعانى القومية والاشتراكية للطلاب !! حتى وإن خالفت عقيدته وعقيدة أبناء المسلمين ، فهذه هى مهنته ومهمته التى يؤديها بل لقد تحصل بعض الأساتذة على الدكتوراه من البلدان الشيوعية وجاءوا إلى بلدان المسلمين ينفثون سمومهم فى جسد هذه الأمة .

صبغ المناهج بصبغة الإسلام :

فأين الأمانة وتأدية الرسالة ، وتنقية العلوم من كل ما يخالف دين الله ؟ ولماذا لا نصبغ الجغرافيا والتاريخ صبغة إيمانية ونتخول الطلبة العظات والعبر التى تحبب إليهم معانى الإيمان ؟ إن اللسان الذى صيغت به العلوم - حتى وإن كانت حقة - فليس عالمياً بل هو لسان محلى ، ولسنا أقل من الشيوعيين الذين رفضوا تربية أجيالهم على علوم الغرب الليبرالية وأعادوا صياغة العلوم صياغة ماركسية حتى تتواصل حلقاتهم وأجيالهم ، وإذا كانت مواد التدريس قد فصلت على غير أجسام المسلمين ، فالواجب علينا أن نتقى الله فى ديننا

وفى أبناء أمتنا ودورك كبير أخى المدرس فى القيام بهذا الواجب ، فتعلم أمر دينك واعمل به وادع الدنيا بأسرها وأبناءك الطلاب للاستقامة عليه .

نحتاج طبيباً مسلماً :

وهل فكر الطبيب فى الدعاء لمريضه بالشفاء أو رقيته أو حثه على الصلاة ؟ وهل نظر للأدوية المستخدمة وهل هى حلال أم حرام ؟ وهل حرص على ستر المريضة وعدم الانفراد بها فى حجرة الكشف ؟ ... أمور كثيرة لعله لم يفكر فيها اكتفاءً بالقراءة فى كتب الطب وتعلم كيفية تشخيص الداء ووصف الدواء العضوى المادى المناسب ، ولا حرج فى القراءة والإطلاع ولكن لا ينبغي أن يكون المسلم كحاطب بليل يوشك أن يحمل حية تلدغه ولا بد من صبغ الحياة بدين الله والأمر سهل ويسير على من يسر الله عليه فيا ليتك تتعرف على الطب النبوى وتكون طبيباً للقلوب والأبدان ، فتعلم أمر دينك وأتقن معانى الإيمان كما أتقنت علوم الطب وإلا فمن تطبب بغير طب فهو ضامن وقد قال رسول الله ﷺ : « تداووا عباد الله ولا تتداووا بحرام » ، وقال ﷺ : « وما جعل الله شفاء أمتى فيما حُرِّم عليها »

رسالة للأديب والمفكر والشاعر :

وأنت أخى الأديب والمفكر والشاعر ... عقلك وقلمك أمانة عندك فلا داعى لإشاعة الفاحشة فى الذين آمنوا ، واشغل فكرك بذكر الله ومعرفة نعمه وعظيم قدرته فى خلقه وما بثه فى كونه من آيات باهرات ، ولا تشغل الناس بالأدب الغريزى وأدب الجنس !! فلا تأدب فى ذلك لا مع الله ولا مع المخلوقين ولا تعتذر بالمشاعر الفياضة والأحاسيس والوجدانات الصادقة !! واضبط عقلك وفكرك قلمك بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فإذا وجدت مشاعرك بضد ذلك

فأنزلها منزلة الوسواس التي لأن تخر من السماء إلى الأرض لكان أهون عليك من أن تجدها ، دورك كبير إن أنت اتقيت الله وقمت بواجب الدعوة إليه سبحانه ، ياليتك تدعم جانب النقص الموجود في قصص الأطفال ، نحتاج لقصص إسلامي بلا خرافات ولا شعوذات ، ولا أساطير ولا كذب ، كما نحتاج أيضاً لمراجعة هذا التفلت وهذا العبث الذي يطلق عليه اسم الفكر الحر المستنير والذي هو شبيه بالفن السريالي والشعر والحر . وباختصار نحن بحاجة لمراجعة حياتنا وفق ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ .

إليكم أيها المربي :

وأنت أختي المربي ، اعلم أن السلوك مرآة الفكر ، والاستقامة هي أعظم كرامة ، فلا تكتفى بنظريات دور كايم ونظريات الاجتماع ومعاني التربية المأخوذة عن الغرب والتي تُعَلَى من شأن الجنس وعظمة الرجل الأوربي وتُجحد وجود الخالق جل وعلا ، لقد زيف الغرب نظريات واعتبروها علوماً ودرستها الجامعات على أساس ذلك وهي أشبه بزيالات كنظرية فرويد فيما يتعلق بالجنس وماركس فيما يتعلق بالبطن ودارون فيما يتعلق بالتطور والنشوء والارتقاء ودور كايم فيما يتعلق بنسبية الأخلاق ، إن أنظار تلامذتك مسلطة على أفعالك قبل أقوالك والدعوة بالسلوك أبلغ من الدعوة بالقول ونحن بحاجة لجيل يتربى تربية إسلامية حتى يفكر بعقلية المسلمين ويقود البلاد قيادة إسلامية فاستعن بالله على ذلك .



أين البركة ؟

لقد انتزعت البركة من الأقوال والأفعال ، والأعمال والأموال ، والطعام والشراب . إن نظرة سريعة ومقارنة يسيرة بين ما كان عليه سلفنا الصالح رضوان الله عليهم وبين ما نحن عليه الآن ، لتوضح لك كيف امتلأت حياتهم بركة بينما غابت البركة من حياتنا ، فمنهم من كان يقوم الليل بالقرآن كله فى ركعة واحدة ، أو يظل يردد آية واحدة طوال الليل ، كحالة عثمان بن عفان وتميم الدارى وأسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهم أجمعين .

لا نصلح مقياساً لهؤلاء الأفاضل :

ونحن اليوم عندما نقرأ ذلك نستغربه بشدة ذلك لأننا نقيسه بما نحن فيه ولا شك أننا لا نصلح مقياساً وميزاناً لهؤلاء الأفاضل ، قرأنا وطالعنا كيف خرجوا يجاهدون فى سبيل الله ، ويتناوبون البيعر الواحد ، منهم من يركب ومنهم من يمشى ويسىرون مئات الأميال كما حدث فى ذات الرقاع وغزوة تبوك ، ويظهرون قوة عظيمة فى قتال الأعداء وكانوا ييكون إذا حيل بينهم وبين الخروج لملاقاة الأعداء كما حدث من السبعة الذين أرجعهم النبى ﷺ عن غزوة تبوك ، فقد رجعوا وهم ييكون : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيَيْنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴾ (٩٢) ﴿ (١) ، وكانوا سيخرجون لملاقاة الروم فى عام شديد الحر بعد أن طابت الثمار ، فأين نحن من ذلك !!؟

عظيم قوة النبي ﷺ :

وقد صارع النبي ﷺ ركاة ثلاث مرات فغلبه ، على الرغم من أن ركاة أحد مشاهير العرب فى القوة ، وكان يتعبد قبل ذلك فى غار حراء الليالى ذوات العدد وتزوده أم المؤمنين خديجة لمثلها ، ووقف يوم حنين بمفرده بعد أن انكشف أصحابه يقول : « أنا النبى لا كذب ... أنا ابن عبد المطلب » ، وكان يقوم الليل حتى تتورم قدماء الشريفتان فإذا قيل له فى ذلك ، قال : « أفلا أكون عبداً شكوراً » ، ويطوف على نسائه فى ليلة واحدة ، وحكى لنا كيف طاف نبى الله سليمان على مائة امرأة فى يوم ، وكان النبى ﷺ يواصل الليل بالنهار فى سبيل إبلاغ الحق إلى الخلق ، فهل كان ذلك بسبب الوجبات الكاملة التى تحتوى على البروتينات والأملاح والفيتامينات ... نحن عندما نطالع السنن نجد أن النبى ﷺ ربط الحجر على بطنه من شدة الجوع يوم الأحزاب على الرغم من ثباته ، وكانت تمر عليهم الأيام والليالى ولا يوقد فى بيته نار صلوات الله وسلامه عليه ، ومات ودرعه مرهونة عند يهودى .

كانوا فرساناً بالنهار رهباناً بالليل :

كانوا لربما أكلوا ورق الشجر الأيام الطوال ، وكانوا إذا وجدوا أكلوا أكل الرجال ، وإذا فقدوا صبروا صبر الجمال وعلى الرغم من ذلك كانوا فرساناً بالنهار رهباناً بالليل وعن عروة عن عائشة أنها كانت تقول : والله يا ابن أختى إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين وما أوقد فى بيت رسول الله ﷺ نار : قال « أى عروة » قلت : يا خالة « يقصد أم المؤمنين عائشة » فما كان يعيشكم قالت : الأسودان : التمر والماء ، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار وكانت لهم منائح فكانوا يرسلون

إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقيناه» (١) .

البركة في المجهولات والمبهمات :

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : توفي رسول الله ﷺ « وما في رقي من شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رقي لي فأكلت منه حتى طال على فكلته ففني » (٢) . قال النووي وفي شرح هذا الحديث إن البركة أكثر ما تكون في المجهولات والمبهمات وأما الحديث الآخر كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه فقالوا : المراد أن يكيله منه لأجل إخراج النفقة منه بشرط أن يبقى الباقي مجهولاً ويكيل ما يخرج له لثلا يخرج أكثر من الحاجة أو أقل » أ . ه .

مظاهر قلة البركة :

لقد كثرت حساباتنا المادية وتعلقنا بالدرهم والدينار ولم نلتفت إلا للبروتينات والفيتامينات ، فكانت الطراوة والليونة والضعف الظاهر عند الرجال والنساء ، فهل منا من يقوى على صعود مثل جبل حراء والمكث فيه الليالي ذوات العدد « على سبيل الافتراض وإلا فلا يجوز ذلك » ؟ وهل منا من يقوى على السير أميالاً لملاقة عدو ويكفي إذا منع من ذلك ؟ وهل منا من يثبت في مواجهة الأعداء مع ربطة الحجر على بطنه ؟ وهل من نساءنا من تقدر وتقوى على الحمل والوضع مرات كثيرة ولربما قامت الأم على خدمة أولادها في نفس يوم وضعها وولادتها ، أم أن طاقتها لم تعد تحتمل إلا ولادة واحدة أو اثنين أو ثلاثة وتعتذر بالضعف الظاهرة على الرغم من تناول البروتينات والفيتامينات ؟ .

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

البركة تتناقص من جيل إلى جيل :

فإذا انتقلنا إلى الأجيال التي أتت بعد ذلك لوجدنا أن الأمة توارثت هذه البركة جيلاً بعد جيل ، وإن خفت حدتها وصورتها من جيل إلى الذي بعده ، انظر إلى علم الأئمة الأربعة وكيف انتشرت مذاهبهم وبلغت الأفاق على الرغم من عدم وجود دوائر الاتصال الحديثة ، وانظر كيف ألف العلماء المؤلفات العظيمة ، وهل بمقدور أحدها الآن أن يكتب مثلها في مثل هذا الزمن ؟ إن الإجابة معلومة مسبقاً ، لقد امتلأت أيامهم بالطاعات المتنوعة علماً وتعليماً وذكرًا وتسبيحاً ، صلاة وقياماً ، جهاداً وتصنيفاً ... ماذا نقول عن حياة مباركة ؟ ، أما نحن فنفتتح اليوم ونختمه بلا عمل يذكر ، وإن وجد فلا يقارن بما قرأناه في حياة هؤلاء الأعلام ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على قلة صلاحنا من جهة ، وتقارب الزمان من جهة أخرى فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان » ^(١) . وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر ، ويكون الشهر كالجمعة ، وتكون الجمعة كالיום ويكون اليوم كالساعة ، وتكون الساعة كاحتراق السعفة » ^(١) .

المراد بتقارب الزمان :

قال يوسف بن عبد الله الوابل في كتاب أشراف الساعة : وللعلماء أقوال في المراد بتقارب الزمان منها :

﴿١﴾ أن المراد بذلك قلة البركة في الزمان ، قال ابن حجر : « قد وجد في زماننا هذا فإننا نجد من سرعة مر الأيام ما لم نكن

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه أحمد والترمذي وقال ابن كثير استاده على شرط مسلم .

نجده فى العصر الذى قبل عصرنا هذا » .

﴿٢﴾ أن المراد بذلك هو ما يكون فى زمان المهدي وعيسى عليه السلام من استلذاذ الناس للعيش وتوفير الأمن وغلبة العدل وذلك أن الناس يستقصرون أيام الرخاء وإن طالت وتطول عليهم مدة الشدة وإن قصرت .

﴿٣﴾ أن المراد تقارب أحوال أهله فى قلة الدين حتى لا يكون منهم من يأمر بمعروف وينهى عن منكر لغلبة الفسق وظهور أهله وذلك عند ترك طلب العلم خاصة والرضى بالجهل وذلك لأن الناس لا يتساوون فى العلم فدرجات العلم تتفاوت كما قال تعالى : ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ ^(١) . وإنما يتساوون إذا كانوا جهالاً .

﴿٤﴾ أن المراد تقارب أهل الزمان بسبب توفر وسائل الاتصالات والمراكب الأرضية والجوية السريعة التى قربت البعيد .

﴿٥﴾ أن المراد بذلك هو قصر الزمان وسرعته سرعة حقيقية وذلك فى آخر الزمان وهذا لم يقع إلى الآن ويؤيد ذلك ما جاء أن أيام الدجال تطول حتى يكون اليوم كالسنة وكالشهر وكالجمعة فى الطول ، فكما أن الأيام تطول فإنها تقطر وذلك لاختلال نظام العالم وقرب زوال الدنيا .

كلام قيم جداً لابن أبى حمزة :

قال ابن حمزة : يحتتمل أن يكون المراد بتقارب الزمان قصره على ما وقع فى حديث : « لا تقوم الساعة حتى تكون السنة كالشهر » ، وعلى هذا

فالقصر يحتمل أن يكون حسيّاً ويحتمل أن يكون معنويّاً ، أما الحسى : فلم يظهر بعد ولعله من الأمور التى تكون قرب قيام الساعة ، وأما المعنوى : فله مدة منذ ظهر يعرف ذلك أهل العلم الدينى ومن له فطنة من أهل السبب الدنيوى ، فإنهم يجدون أنفسهم لا يقدر أحدهم أن يبلغ من العمل ما كانوا يعملونه قبل ذلك ويشكون ذلك ولا يدرون العلة فيه ، ولعل ذلك بسبب ما وقع من ضعف الإيمان لظهور الأمور المخالفة للشرع من عدة أوجه ، وأشد ذلك الأقوات ففيها من الحرام المحض ومن الشبه ما لا يخفى حتى إن كثيراً من الناس لا يتوقف فى شئ ، ومهما قدر على تحصيل شئ هجم عليه ولا يبالى والواقع أن البركة فى الزمان وفى الرزق وفى النبت إنما يكون من طريق قوة الإيمان واتباع الأمر واجتناب النهى والشاهد لذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ (١) . أ . هـ .

البركة المنزوعة تزد قرب قيام الساعة :

ولا سبيل لإنكار البركة شرعاً وواقعاً ، فقد بين رسول الله ﷺ فى أحاديث علامات الساعة كيف أن الدجال يخرج وينزل المسيح حتى يدركه بيباب لدّ «وهو بفلسطين» فيقتله ، ثم تخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حذب ينسلون فيهلكهم ربنا جل وعلا ببركة دعاء المسيح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ثم يرسل الله مطراً لا يُكِنُّ منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة ثم يقال للأرض : أنبتى ثمرتك وردى بركتك فيؤمئذ تأكل العصابة (٢) من الرمانة ويستظلون بقحفها (٣) ويبارك فى الرسل (٤) حتى أن

(١) سورة الأعراف الآية « ٩٦ » .

(٢) الجماعة .

(٣) قشرتها الفارغة .

(٤) اللين .

اللقحة ^(١) من الإبل لتكفي الفأَم ^(٢) من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ ^(٣) من الناس فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون ^(٤) فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة ^(٥) ، وواضح من الحديث أن البركة المنزوعة تُرد إلى الأشياء قرب قيام الساعة .

البركة من الله وهبها الطاعة :

وقد وردت الآيات تبين أن البركة من الله ، وأنه سبحانه بارك في بعض مخلوقاته ، وأنها لا تُطلب إلا بطاعته ، فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ ^(٦) ، وقال : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴾ ^(٧) ، وقال عن نبيه موسى عليه السلام : ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ ﴾ ^(٨) ، وقال عن نبيه عيسى عليه السلام : ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ﴾ ^(٩) ، وقال سبحانه : ﴿ وَجَعَلْ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكْ فِيهَا ﴾ ^(١٠) ، وقال جل وعلا عن بنى إسرائيل لما استقاموا :

(٢) الجماعة .

(١) التي تُدر اللبن .

(٣) دون القبيلة .

(٤) يجامع الرجال النساء علانية مثل الحمير .

(٥) رواه مسلم .

(٧) سورة ق الآية « ٩ » .

(٩) سورة مريم الآية « ٣١ » .

(٦) سورة آل عمران الآية « ٩٦ » .

(٨) سورة القصص الآية « ٣٠ » .

(١٠) سورة فصلت الآية « ١٠ » .

﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ ^(١) ، وقال عن نبيه ﷺ : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾ ^(٢) ، وقال عن نبيه سليمان عليه السلام : ﴿ تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ ^(٣) ، وفي معرض الثناء على نفسه سبحانه يقول : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٤) ، وقال : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ ^(٥) ، ووصف كتابه فقال : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ ^(٦) ، وقال : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ^(٧) ، وقال : ﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ ^(٨) ، والآيات في ذلك كثيرة .

تعطلت المصالح والمنافع في ظل الطغيان المادي :

فالواجب علينا أن نتنبه وإلا فقد تعطلت كثير من المنافع والمصالح والخيرات بسبب الطغيان المادي المعاصر وتعلق الإنسان بحوله وطوله وذكائه ... ونسيانه ربه وطاعته سبحانه والتي هي من أعظم أسباب السعادة وحصول الرزق

(١) سورة الأعراف الآية « ١٣٧ » .

(٢) سورة الإسراء الآية « ١ » .

(٣) سورة الأنبياء الآية « ٨١ » .

(٤) سورة الأعراف الآية « ٥٤ » .

(٥) سورة الفرقان الآية « ١ » .

(٦) سورة الأنعام الآية « ٩٢ » .

(٧) سورة الأنعام « ١٥٥ » .

(٨) سورة الأنبياء الآية « ٥٠ » .

ومن ذلك ما ورد عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر » وقد أورد الغماري عدة روايات في هذا المعنى تحت عنوان : « باب من بر والديه زاد الله في عمره » ثم قال : « قد تُستشكَل هذه الأحاديث مع ما تقرر من أن الآجال مقدرة لا تزيد ولا تنقص : ﴿ جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ ^(١) .

كيف نفهم زيادة العمر والرزق :

قد أجاب العلماء عن هذا بأجوبة :

الأول : أن الزيادة على حقيقتها ، وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالعمر ، وأما الأول : الذي دلت عليه الآية فبالنسبة إلى علم الله تعالى كأن يقال للملك مثلاً : إن عمر فلان مثلاً مائة ، إن بر والديه وستون إن عقيهما وقد سبق في علم الله أن يبر أو يعق فالذي في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر ، والذي في علم الملك هو الذي يمكن فيه الزيادة والنقصان وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ ^(٢) ، فالمحو والإثبات بالنسبة لما في علم الملك ، وما في أم الكتاب هو الذي في علم الله تعالى فلا محو فيه البتة ويقال له : القضاء المبرم ، ويقال للآخر : القضاء المعلق .

الثاني : أن المراد بقاء ذكره الجميل بعده فكأنه لم يميت ، حكاة

القاضي عياض في الإكمال وضعفه النووي في المناهج ، ونحوه للطيب في شرح المشكاة ، فإنه قال بعد كلام له : ويجوز أن يكون المعنى أن الله يبقى أثر

(١) سورة النحل الآية « ٦١ » .

(٢) سورة الرعد الآية « ٣٩ » .

واصل الرحم في الدنيا طويلاً فلا يضمحل سريعاً كما يضمحل أثر قاطع الرحم ، ومن هذا قول الخليل عليه السلام : ﴿ وَاجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ (٨٤) (١) .

الثالث : ما أخرجه الطبراني في الصغير بسند ضعيف عن أبي الدرداء قال ذكر رسول الله ﷺ : « من وصل رحمه أنسى له في أجله » ، فقال إنه ليس زيادة في عمره ، قال تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ ﴾ (٢) ، لكن الرجل تكون له الذرية الصالحة ويدعون له من بعده » ، وعنده في الكبير من حديث أبي مشجعة الجهني : « إن الله لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها وإنما زيادة العمر ذرية صالحة » .

الرابع : أن المراد نفى الآفات عن صاحب البر في فهمه وعقله وبه جزم ابن فورك ، وقال غيره : نفى الآفات عنه في جميع شئونه .

الخامس : أن الزيادة في الأوقات المعدودة لا في الأنفاس المحدودة ذكره المناوي في التيسير .

السادس : وهو الذي ارتضاه الجم الغفير وصححه النووي أن الزيادة كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة وعمارة وقته مما ينفعه في الآخرة وصيانتة عن تضييعه في غير ذلك ، قال الحافظ : ومثل هذا ما جاء أن النبي ﷺ تقاصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار من مضى من الأمم فأعطاه الله ليلة القدر . وحاصله أن البر يكون سبباً للتوفيق للطاعة والصيانة عن المعصية فيبقى بعده الذكر الجميل فكأنه لم يمت ومن جملة ما يجعل له من التوفيق العلم

(١) الشعراء الآية « ٨٤ » .

(٢) سورة الأعراف الآية « ٣٤ » .

الذى ينفع به من بعده والصدقة الجارية عليه والخلف الصالح أ . هـ .

ترجيح الغمارى :

قال الغمارى : والأول من هذه الأقوال هو الأحق بالقبول لما فيه من إبقاء النصوص الشرعية على ظواهرها وعدم تأويلها ، وقد ورد ما يدل على أن المراد بالزيادة حقيقتها مما لا يحتمل تأويلاً ولا يقبل دخيلاً فعن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن فى مسجد المدينة فقال : « إني رأيت البارحة عجباً رأيت رجلاً من أمتى أتاه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرد ملك الموت عنه » ^(١) .

الحلف منفقة للحياة ممحقة للبركة :

إن طاعة الله وبر الوالدين منها سبب حلول النماء والزيادة والبركات ، والمعصية بضد ذلك وفى الحديث : « الحلف منفقة ^(٢) للسلعة ممحقة للبركة » ^(٣) وغيره عن أبى هريرة ، وكثرة الحلف قد يكون سبباً من أسباب التغير ويترب عليه قلة التعظيم لله ، « إياكم وكثرة الحلف فى البيع ، فإنه ينفق ثم يمحق » ^(٤) ، لا ينبغى أن ننسى السنن وأن ندور مع إسلامنا حيث دار بعيداً عن هذا الطغيان الجارف وأن نعلم أن الزيادة والنماء وحلول البركة فى الأرزاق والأعمال وسائر الأشياء من أعظم أسبابها استقامة الحال والدعاء .

(١) رواه أبو موسى المدينى فى الترغيب ، وقال هذا حديث حسن جده أ . هـ .

(٢) يساعدها على الزواج .

(٣) رواه البخارى .

(٤) رواه مسلم .

أدعية نافعة لحصول البركة :

وقد وردت أدعية كثيرة تحمل هذا المعنى فاحرص عليها ففيها الخير الكثير ، ومنها : « أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين ، اللهم إني أسلك خير هذا اليوم : فتحه ونصره ونوره وبركته وهداه ، وأعوذ بك من شر ما فيه وشر ما قبله وشر ما بعده » ، يقول بين ظهرائي وضوئه : « اللهم اغفر لي ذنبي ، ووسع لي في داري ، وبارك لي في رزقي » وفي دعاء الاستخارة يقول : « اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌ لي في ديني ومعاشي ، وعاقبة أمري فاصرفه عني وأصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به » وإذا أدى مالا كان اقترضه قال : « بارك الله لك في أهلك ومالك » ، وإذا أتى بياكورة الثمر وضعها على عينيه ثم على شفتيه ، وقال : « اللهم بارك لنا في ثمرنا ، وبارك لنا في مدينتنا ، وبارك لنا في صاعنا ، وبارك لنا في مُدُننا ، بركة مع بركة » ، وإذا رأى من أخيه ما يعجبه قال « اللهم بارك فيه » ، وإذا رأى من نفسه أو ولده أو ماله أو غير ذلك شيئا فأعجبه ، وخاف أن يصيبه بعينه ، أو يتضرر بذلك قال : « اللهم بارك فيه ولا تضره » وإذا أكل عند قوم وفرغ فليدع لهم : « اللهم بارك فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم » وإذا شرب لبناً قال : « اللهم بارك لنا فيه ، وزدنا منه » وإذا فرغ من طعامه قال : « اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه » ، ويقال للزوج عقب عقد النكاح : « بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في

خير » وتقول النساء الحاضرات : على الخير والبركة وعلى خير طائر ، وفى الحديث : « من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى فى الصلاة علينا أهل البيت فليقل : اللهم صل على محمد النبى وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد » . وفى دعاء القنوت الذى علمه النبى ﷺ لِسَبْطِهِ وهو الحسن : « وبارك لى فيما أعطيت » ... اللهم آمين .

بعض ما يجوز وما لا يجوز من التبرك :

ولا يجوز طلب المدد والبركة من المقبورين كما لا يجوز التبرك بالأشجار والأحجار إلا الحجر الأسود وقد وردت وتواترت الأخبار بجواز التبرك بأثار رسول الله ﷺ .



الاستخفاف بمعانى الصبر والاستضعاف

بعض أهل التهور والاندفاع ممن تلوث باللوثة المادية - إذا سمع من يعظ ويذكر بوجوب الصبر ، وكيف وصلنا إلى حالة من حالات الاستضعاف ، يحكيها الواقع الذى يعيشه المسلمون ، يستهجن ويستخف بالكلمات ويراهم إضاعة للوقت ، كيف وعضلاته مفتولة وجوارحه قوية وهكذا تجاهل البعض السنن الشرعية والكونية أمام حسابات الجوارح والعضلات فكانت النكبات وكانت الجحور التى أتى البعض إلا أن يلدع منها ليس فقط مرة بل ألف مرة .

نهيينا أمورا عظيمة :

إن هذا الفريق نسى معان عظيمة ذكرها سبحانه فى كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ ، يقول تعالى : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ (١) ، وهذا هو المذكور فى قوله سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (٢) ، وهو أيضاً المذكور فى قوله جل وعلا : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ (٥) وَنُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ (٦) ، يقول العلماء : لما أخذوا برأس الأمر « أى

(١) سورة الأعراف الآية « ١٣٧ » .

(٢) سورة السجدة الآية « ٢٤ » .

(٣) سورة القصص الآيات « ٥ - ٦ » .

بالصبر واليقين » جعلهم ربنا أئمة .

الآيات تأمر النبي ﷺ بالصبر :

وانظروا إلى السورة التي بها أرسل صلوات الله وسلامه عليه ، يقول سبحانه فيها مخاطباً نبيه : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمَنَّ أَنْ تَمُنَّ تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧) فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) ﴾ (١) ، وفي سور المزمل يقول سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ (١) قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نَصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا (٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا (٧) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (٨) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (٩) وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (١٠) وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهْلَهُمْ قَلِيلًا (١١) إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (١٣) يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا (١٤) ﴾ (٢) ، وقد تشابه الأمر بالصبر هنا مع الأمر بالصبر هناك وأعقب ذكره بخبر القيامة ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) ﴾ (٣) ، ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا (١٤) ﴾ (٤) ، من صبر فما أقل ما يصبر ومن جزع فما أقل ما يتمتع ، فهي لحظات معدودات سرعان

(١) سورة المدثر الآيات « ١ - ٩ » .

(٢) سورة المزمل الآيات « ١ - ١٤ » .

(٣) سورة المدثر الآية « ٨ » .

(٤) سورة المزمل الآية « ١٤ » .

ما تُسلم الإنسان لحياة أخروية .

الصبر من أعظم أسباب النصر :

وقد سأل عمر أشياخ بنى عبس بما كنتم تنتصرون على عدوكم فقالوا :
« ما لقينا عدواً إلا صبرنا لهم كما صبرنا لنا » فالصبر من عدة النصر وأسبابه
ولذلك قال النبي ﷺ : « وأن النصر مع الصبر » ، ولذلك ورد الأمر به والثناء
فى أكثر من موضع من كتاب الله .

الثناء على الصابرين :

يقول سبحانه : ﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۝ (٤٨) ﴾ (١) ، وقال : ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ۝ (٤٨) ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝ (٣٥) ﴾ (٣) ، وقال : ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۝ (٤) ﴾ ، وقال : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ۝ (٥) ﴾ ، وأثنى على رسله بقوله : ﴿ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۝ (٦) ﴾ ، وبشر الصابرين بقوله ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝ (١٥٥) ﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ

(١) سورة الطور الآية « ٤٨ » .

(٢) سورة القلم الآية « ٤٨ » .

(٣) سورة فصلت الآية « ٣٥ » .

(٤) سورة الرعد الآية « ٢٢ » .

(٥) سورة الأحقاف الآية « ٣٥ » .

(٦) سورة الأنعام الآية « ٣٤ » .

صَلَّاتٍ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴿١﴾ ، والمؤمن إذا أنعم عليه شكر وإذا ابتلى صبر وإذا أذنب استغفر ، ويقول سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ﴿١٠﴾ ﴿٢﴾ ، وقال : ﴿ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿٣﴾ ، وقال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ﴿٢٠٠﴾ ﴿٤﴾ ، وخص الانتفاع بآياته أهل الصبر وأهل الشكر تمييزاً لهم بهذا الحظ الوفور فقال في أربع آيات من كتابه : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ ﴿٥﴾ ﴿٥﴾ ، وقال عز وجل : ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ ﴿١١١﴾ ﴿٦﴾ ، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من يتصبر يصبره الله ، وما أُعطيَ أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من الصبر » ﴿٧﴾ ، والإيمان نصفه صبر ونصفه شكر .

ولكنكم تستعجلون :

وكان النبي ﷺ يمر بعمار وسمية وياسر وهم يعذبون ويقول : « صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة » ، ولما أتاه خباب بن الأرت يقول له : ألا تستنصر لنا ألا تدعونا - وكان ممن يعذب - ولم يزد النبي ﷺ على أن بين له السنن ، وقال له : « قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل ويحفر له في الأرض ويؤتى

(١) سورة البقرة الآية « ١٥٧ ، ١٥٥ » .

(٢) سورة الزمر الآية « ١٠ » .

(٣) سورة الأنفال الآية « ٤٦ » .

(٤) سورة آل عمران الآية « ٢٠٠ » .

(٥) سورة إبراهيم الآية « ٥ » .

(٦) سورة المؤمنون الآية « ١١١ » .

(٧) رواه البخاري .

بالمشاة فيوضع فوق رأسه ما يصرفه ذلك عن دينه أبداً وكان يمشط بأمشاط الحديد ما بين لحمه وعظمه ما يصرفه ذلك عن دينه أبداً والله ليرتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون » ، فالعجلة هي هي وكأنه هؤلاء المعاصرين لم يأخذوا درساً من قصة موسى مع فرعون ، فقد التقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً ، وتربى موسى على سرير فرعون وأكل من طعامه ثم كان هلاكه على يده ، بعد أن علا في الأرض واستكبر به وجنوده بغير الحق .

سوء الفهم يضاف إلى الطغيان المادي :

وقد ازداد الطين بلة عند هذا الفريق لما قرأ أن آيات الصبر منسوخة فانضاف سوء الفهم إلى الطغيان المادي الجارف الذي يعول على الجوارح والعضلات ، وكانت النتيجة أن أهدرت هذه المعاني الجميلة التي تتعلق بمعنى الصبر وأثره وقد نسي هؤلاء أن الواقع هو الذي يحدد أي الأحكام هو الأنسب في مراحل الجهاد ، وأن التطبيق إنما يكون بحسب الظروف الموجودة فلا بد من النظر بعين الاعتبار لحالة المسلمين وما هم عليه من ضعف أو قوة وإلا فكيف يكون الجهاد واجباً على الناس وهم غير قادرين ولا مستطيعين !! .

الواجب على من كان مستضعفاً :

يقول ابن تيمية : « فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مستضعف أو في وقت هو فيه مستضعف فليعمل بآية الصبر والصفح والعفو عمن يؤذي الله ورسوله من الذين أوتوا الكتاب والمشركون وأما أهل القوة : فإنما يعملون بآية قتال أئمة الكفر الذين يطعنون في الدين وبآية قتال الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » .

حد العجز والاستضعاف :

وقد تكلم العلماء على حد الاستطاعة وحد العجز والاستضعاف فقال ابن جزى الغرناطى المالكى : « لا يجوز الانصراف من صف القتال إن كان فيه انكسار المسلمين وإن لم يكن فيجوز لمتحرف لقتال أو متحيز إلى فئة والتحرف للقتال هو أن يظهر الفرار وهو يريد الرجوع مكيدة فى الحرب والتحيز إلى جماعة غائبة من المسلمين اثني عشر ألفاً لم يحل الانهزام ولو زاد الكفار على الضعف ، وإن علم المسلمون أنهم مقتولون فالانصراف أولى وإن علموا مع ذلك أنهم لا تأثير لهم فى نكاية العدو وجب الفرار ، وقال أبو المعالى : « لا خلاف فى ذلك » .

إشكال ودفعه :

وقد يُشكَل على ذلك قوله سبحانه : ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ ^(١) ، وفيها : تحريض على القتال واستشعار للصبر واقتداء بمن صدق ربه - قال القرطبى : « هكذا يجب علينا نحن أن نفعل لكن الأعمال القبيحة والنيات الفاسدة منعت من ذلك حتى ينكسر العدد الكبير قدام اليسير من العدو كما شاهدناه غير مرة وذلك بما كسبت أيدينا ، وفى البخارى : وقال أبو الدرداء : « إنما تقاتلون بأعمالكم » وفيه مسنداً أن النبى ﷺ قال : « هل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم » فالأعمال فاسدة والضعفاء مهملون والصبر قليل والاعتماد ضعيف والتقوى زائلة قال الله تعالى : ﴿ اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ ^(٢) ، وقال : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا ﴾ ^(٣) ، وقال :

(١) سورة البقرة الآية « ٢٤٩ » .

(٢) سورة آل عمران الآية « ٢٠٠ » .

(٣) سورة المائدة الآية « ٢٣ » .

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ (١) ، وقال :
 ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا
 اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣) ، فهذه أسباب النصر وشروطه وهى معدومة
 عندنا غير موجودة فينا ، فإن الله وإنا إليه راجعون على ما أصابنا وحل بنا ! بل
 لم يبق من الإسلام إلا ذكره ، ولا من الدين إلا رسمه لظهور الفساد ولكثرة
 الطغيان وقلة الرشاد حتى استولى العدو شرقاً وغرباً براً وبحراً وعمت الفتن
 وعظمت المحن ولا عاصم إلا من رحم أ . ه .

دفع مال للكفار عند ضعف المسلمين :

وقد تكلم العلماء فى دفع مال للكفار عند ضعف المسلمين إذا خيف
 استئصالهم كما يجوز فداء الأسير بالمال ، فدفع صغار أعظم منه وهو القتل
 والأسر وسبى الذرية الذى يفضى سبيهم إلى كفرهم يكون من باب أولى
 وأحرى (٤) ، وحديثنا هذا إنما هو تقرير للواقع وحكمه وليس فرحاً بما قد
 يصل إليه الحال هنا أو هناك ، فى هذا الوقت أو غيره ، كما أنه ليس مبرراً
 نعلق عليه تكاسلنا وتخاذلنا فى الأخذ بالأسباب والعمل على إظهار أمر ربنا :
 ﴿ وَالْعَصْرُ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) ﴾ (٥) ، فالمسلم طوع إشارة ورهين أمر
 ومن شأنه أن يعظم حرمان الله : ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى

(١) سورة النحل الآية « ١٢٨ » .

(٢) سورة الحج الآية « ٤٠ » .

(٣) سورة الأنفال الآية « ٤٥ » .

(٤) راجع كتاب تحصيل الزاد لتحقيق الجهاد « ص ٢٣ - ٣١ » .

(٥) سورة العصر .

الْقُلُوبِ (٣٢) ﴿ (١) ، ويعلم أن الله لا يضيع أهله ، بل من ظن أن الله يضيع أوليائه فقد ظن ظن السوء برب العزة جل وعلا .

تخفيف منابع الإسلام :

ولسنا ممن يجهل حجم المخططات التي يعمل بها الأعداء في الداخل والخارج لإماتة هذه الأمة ، ولا ما ينادى به البعض من تخفيف منابع الإسلام في الإعلام والتعليم وشتى نواحي الحياة ، وهذا الإظلام الذي يطلق عليه ظلماً وزوراً اسم التنوير ، ونعلم كيف تتعاون الاستخبارات الأوربية والأمريكية لمواجهة المسلمين ، ولا يخفى على أحد أفعال اليهود لتخريب الاقتصاد وتعكير الأمن لإلصاق التهمة بالمسلمين ولا ننسى ما يحدث للمسلمين في البوسنة وفلسطين وروسيا والصومال والهند وبورما وكشمير وهنا وهناك ، ونرى أن ذلك كله يتطلب صبراً كبيراً ، لا جبن فيه ولا خور معه ولا يأس : ﴿ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (٨٧) ﴾ ﴿ (٢) .

كيف تكون المواجهة :

لا بد من الإعداد الإيماني لمواجهة الكربات والمصائب مع الاحتساب والاسترجاع : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ ﴾ ﴿ (٣) ، لا بد من تجديد معاني التوكل وعلو الهمة والحياء من الله ، وأن يعترينا الخجل عندما نرى من تسمى بالأم تريزا تنتقل بدعوتها

(١) سورة الحج الآية « ٣٢ » .

(٢) سورة يوسف الآية « ٨٧ » .

(٣) سورة آل عمران الآية « ١٧٣ ، ١٧٤ » .

التبشيرية من حى الزبالين بمصر إلى العراق فى أعقاب حرب الخليج فهل نبذل لدعوتنا نصف ساعة أو ربع ساعة ونكون بذلك قد أدينا مهمتنا ؟ ! .

سلفية الفكر عصرية المواجهة وخطأ من ينادى بذلك :

ولسنا فى حاجة للتغير أو التبديل أو رفع شعار سلفية الفكر عصرية المواجهة ، بل لا بد من تخطئة هذه العصرية المزعومة ، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما يصلح به أولها وهذا المنهج الذى ندين به وهو منهج الرجوع للكتاب والسنة بفهم سلفنا الصالح ومن تابعهم بإحسان ليس بقاصر بل هو منهج التقدم لا الرجوع للوراء ، ولكن التقدم فيما يقبل التقدم كبناء المصانع والمدارس والمستشفيات والأخذ بأسباب القوة كائنة ما كانت دون التفريط فى طاعة الله : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ ^(١) ، فالتطور والتحضر والتقدم إنما يكون مع استمساكنا بكل ما جاء فى كتاب الله وفى سنة رسول الله ﷺ هذا المنهج شامل لكل ناحية من نواحي الحياة سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو عسكرية أو اجتماعية أو أخلاقية - شامل للحرب وللسلم - للمسجد والسوق - والجسد والروح والفرد والجماعة - كما أنه منهج الأصالة لا التقليد ، وليس معنى أخذنا للعلوم النافعة ممن أفلح أن نفرط فى معنى من معانى الهداية والدين ، فلا خير فى دنيا خلت عن معانى الإيمان والدين على العقول والنفوس ، حتى أصبح الطغيان المادى تياراً جارفاً فى كل ناحية من نواحي الحياة وكل زاوية من زواياها ، والله المشتكى وإليه المرجع والمآب وهو المسئول سبحانه بمنه وكرمه أن ينتشلنا من هذا الوحل إلى بر الأمان .

﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ (١)

قال الضحاك : لما سرق ابن أبيرق الدرع اتخذ حفرة في بيته وجعل الدرع تحت التراب . وقد ورد في سبب نزول هذه الآيات أن نفرأ من الأنصار - قتادة ابن النعمان وعمه رفاعه - غزوا مع رسول الله ﷺ في بعض غزواته ، فسُرِقَتْ درع لأحدهم « رفاعه » فحاتم الشبهة حول رجل من الأنصار من أهل بيت يقال لهم : بنو أبيرق ، فأتى صاحب الدرع رسول الله ﷺ فقال : إن طعمه بن أبيرق سرق درعي (وفي رواية : إنه بشير بن أبيرق وفي هذه الرواية : أن بشيراً هذا كان منافقاً يقول الشعر في ذم الصحابة وينسبه لبعض العرب !) فلما رأى السارق ذلك عمد إلى الدرع فألقاها في بيت رجل يهودى اسمه زيد بن السمين وقال لنفر من عشيرته : إني غيبت الدرع ، وألقيتها في بيت فلان ، وستوجد عنده فانطلقوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا يا نبي الله : إن صاحبنا برئ ، وإن الذى سرق الدرع فلان وقد أحطنا بذلك علماً ، فأعذر صاحبنا على رؤوس الناس ، وجادل عنه ، فإنه إن لم يعصمه الله بك يهلك ، ولما عرف رسول الله ﷺ أن الدرع وجدت في بيت اليهودى قام فبرأ ابن أبيرق وعذره على رؤوس الناس ، وكان أهله قد قالوا للنبي ﷺ - قبل ظهور الدرع في بيت اليهودى - أن قتادة بن النعمان وعمه عمداً إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت !! قال قتادة : فأتيت رسول الله ﷺ فكلمته فقال : « عمدت إلى أهل بيت يذكر منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقة

على غير ثبت ولا بينة ؟ » قال : فرجعت ، ولوددت أن خرجت من بعض مالى ولم أكلم رسول الله ﷺ فى ذلك فأتانى عمى رفاعه فقال : يا ابن أخى ما صنعت ؟ فأخبرته بما قال لى رسول الله ﷺ فقال : الله المستعان فلم نلبث أن نزلت : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ١٠٥ ﴾ ^(١) ، - أى بنى أوبرق - وخصيماً : أى محامياً ومدافعاً ومجادلاً عنهم - ﴿ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ ١٠٦ ﴾ ^(٢) ، أى مما قلت لقنادة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ١٠٦ ﴾ ^(٣) ، ﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ ١٠٧ ﴾ ^(٤) ، إلى قوله تعالى : ﴿ رَحِيمًا ١٠٧ ﴾ ^(٥) ، - أى لو استغفر الله لغفر الله لهم : ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ ١٠٨ ﴾ ^(٦) ، إلى قوله : ﴿ وَإِثْمًا مُبِينًا ١٠٩ ﴾ ^(٧) ، ﴿ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ ١١٠ ﴾ ^(٨) ، إلى قوله : ﴿ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ١١٤ ﴾ ^(٩) ، فلما نزل القرآن أتى رسول الله ﷺ بالسلاح فردّه إلى رفاعه .

تفسير القرطبى للآيات :

قال القرطبى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ ١٠٩ ﴾ ،

-
- (١) سورة النساء الآية « ١٠٥ » .
 - (٢) سورة النساء الآية « ١٠٦ » .
 - (٣) سورة النساء الآية « ١٠٦ » .
 - (٤) سورة النساء الآية « ١٠٧ » .
 - (٥) سورة النساء الآية « ١١٠ » .
 - (٦) سورة النساء الآية « ١١١ » .
 - (٧) سورة النساء الآية « ١١٢ » .
 - (٨) سورة النساء الآية « ١١٣ » .
 - (٩) سورة النساء الآية « ١١٤ » .
 - (١٠) سورة النساء الآية « ١٠٨ » .

أى يستترون كما قال تعالى ﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِاللَّيْلِ ﴾ ^(١) ، أى مستتر ،
وقيل يستحيون من الناس وهذا لأن الاستحياء سبب الاستتار ﴿ وَلَا يَسْتَخْفُونَ
مِنْ اللَّهِ ﴾ ^(٢) ، أى لا يخفى مكان الدرع على الله ﴿ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ ^(٣) ،
أى رقيب حفيظ عليهم ، قال القرطبي : ﴿ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ ، أى بالعلم والرؤية
والسمع وهذا قول أهل السنة ، وقال سيد قطب فى تفسيرها « وهى صورة زرية
داعية إلى الاحتقار والسخرية زرية بما فيها من ضعف والتواء ، وهم يبيتون ما
يبيتون من الكيد والمؤامرة والخيانة ، ويستخفون بها عن الناس ، والناس لا
يملكون لهم نفعاً ولا ضرراً بينما الذى يملك النفع والضرر معهم وهم يبيتون ما
يبيتون ، مطلع عليهم وهم يخفون نياتهم ويستخفون ، وهم يزرون من القول
ما لا يرضاه فأى موقف يدعو إلى الزرابة والاستهزاء أكثر من هذا الموقف ؟ »
﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ ^(٤) ، إجمالاً وإطلاقاً ... فأين
يذهبون بما يبيتون والله معهم إذ يبيتون ، والله بكل شئ محيط وهم تحت عينه
وفى قبضته « أ . هـ . ^(٥) .

قصة لا تصرف لها الأرض نظيراً :

هذه الآيات تحكى قصة لا تعرف لها الأرض نظيراً ولا تعرف لها البشرية
شبيهاً وتشهد - وحدها - بأن هذا القرآن وهذا الدين لا بد أن يكون من عند
الله ، لأن البشر - مهما ارتفع تصورهم ، ومهما صفت أرواحهم ، ومهما
استقامت طبائعهم لا يمكن أن يرتفعوا بأنفسهم إلى هذا المستوى الذى تشير إليه

(١) سورة الرعد الآية « ١٠ » .

(٢) سورة النساء الآية « ١٠٨ » .

(٣) سورة النساء الآية « ١٠٨ » .

(٤) سورة النساء الآية « ١٠٨ » .

(٥) راجع : « فى ظلال القرآن » ج ٢ ص ٢٥٧

هذه الآيات إلا بوحى من الله هذا المستوى الذى يرسم خطأ على الأفق لم تصعد إليه البشرية إلا فى ظل هذا المنهج - ولا تملك الصعود إليه أبداً إلا فى ظل هذا المنهج كذلك . إن هذه الآيات نزلت تبرئة ليهودى من اليهود التى لا تدع سهماً مسموماً تملكه إلا أطلقتته فى حرب الإسلام وأهله ، اليهود التى يذوق منها المسلمون الأمرين فى هذه الحقبة (ويشاء الله أن يكون ذلك فى كل حقبة !) اليهود التى لا تعرف حقاً ولا عدلاً ولا نصفه ، ولا تقيم اعتباراً لقيمة واحدة من قيم الأخلاق فى التعامل مع المسلمين على الإطلاق .

دروس مستفادة من القصة :

هل أخذنا درساً من هذه الآيات البيّنات ، وهل نحن على استعداد أن نبرئ ساحة المسلمين بعد اتهامهم بالتطرف والإرهاب ونسبتهم لارتكاب حوادث القتل والتخريب ظلماً وزوراً بعد أن اتضح أن اليهود على الأقل قد ارتكبوا بعضها لتعكير الأمن وتخريب الاقتصاد ولتعجيل الإجهاز على الصحوة الإسلامية ؟ وهل انتهينا عن الزنا والسرقة وسائر المعاصى والذنوب التى نتكتمها عن الناس ونبديها لرب الناس ؟ كان الإمام أحمد يقول :

إذا خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل على رقيب
لا تحسن الله يغفل ساعة ولا أن ما يخفى عليه يغيب

دناءة ونذالة :

إنها لدناءة ونذالة أن نعصى الله ونحن فى قبضته ، ونجتراً على انتهاك حدوده وهو يرانا ويسبغ علينا نعمه ، أين الحياء والخجل من الله وقد بارزنا الله بالحرب ليس فى السر فقط ، بل وفى العلن كذلك ، بل أصبح البعض يتباهى بالزنا وشرباً لخمير ومصاحبة النساء ... وفى الحديث : « ما ظهرت الفاحشة

فى قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم الذين مضوا » إن هذا الحال الذى نعيشه - والذى لا يخفى عليكم - إنما يدل على عدم الخوف من الله كما يدل على عدم الحياء منه سبحانه والحياء والإيمان قرناً جميعاً فإذا رفع أحدهم رفع الآخر ، إن الناس لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، وإنما الذى يملك ذلك هو ربنا جل وعلا ويده الجنة والنار ، له الحكم كله وله الملك كله وإليه يرجع الأمر كله ﴿ فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٢٣) ﴿ (١) .

خوف الصحابة حتى من الخواطر :

لما علم الصحابة رضوان الله عليهم ذلك تخوفوا على أنفسهم حتى من خواطرهم ومشاعرهم ، فإن البعض يقول لرسول الله ﷺ : إنا لنجد فى أنفسنا ما لو خررنا من السماء إلى الأرض لكان أهون علينا من أن نتحدث به فيقول النبى ﷺ : « ذلك صريح الإيمان » ، وقال : « الحمد لله الذى رد كيده إلى الوسوسة » - أى الشيطان - وقال : « أوقد وجدتموه » وقال : أيضاً لمن سأله : قل : « آمنت بالله » ، ونحن وصفنا هذه الوسواس الشيطانية بوصف المشاعر الصادقة والوجدانات والأحاسيس الفياضة والعواطف الدافقة !!! .

حالتنا اليوم :

تكلمنا وعملنا بهذه الوسواس دون خوف من الله أو حياء من الناس لأنهم على شاكلتنا فى الكثير من الأحيان ، بل حالة بعض من ينتسب للعلم والصلاح الآن لا تبعد عن هذه الآية الكريمة ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا

يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴿١﴾ ، فهذا الذى يتسم ابتسامة عريضة مع اخوانه وأصدقائه وهو دائم الشتم والضرب لزوجته وهذا الذى يلين جانبه للناس ثم هو هو الفظ الغليظ مع والديه ، وهذا الذى يعيش بوجهين وبمفهومين وبولاءين ، وجه له فى المسجد فيه أمارات التقى وعلامات الصلاح والثانى مع الراقصة والمغنية أو فيه أمارات الربا والغش والرشوة ... كلها صور لا تتباعد عن هذه الآية وزيادتها واستشراؤها يدل على صورة من صور الطغيان المادى المعاصر ولا حول ولا قوة إلا بالله .

أقوال نورانية :

وقال بعض السلف : إذا أتى على يوم لا أزداد فيه علماً يقربنى إلى الله فلا بورك لى فى شمس ذلك اليوم » ، وسئل ابن المبارك عن أحسن الناس فقال : العلماء ، قيل من من الملوك ؟ قال : الزهاد ، قيل فمن السفلة ؟ قال : الذى يأكل بدينه ، وكان البعض يقول : أى شئ أدرك من فاته العلم وأى شئ فاته من أدرك العلم ، وعن أبى الدرداء رضي الله عنه : « من رأى أن الغدو إلى العلم ليس بجهد فقد نقص فى عقله ورأيه » ، وعن على رضي الله عنه « الناس ثلاثة فعالم ربانى ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعا ع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم » ولم يلجأوا إلى ركن وثيق ، العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، العلم يزكوا على الإنفاق والمال تنقصه النفقة ، العلم حاكم والمال محكوم عليه ، ومحبة العلم دين يدان به ، وفى وصية لقمان لابنه « يا بنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتك فإن الله سبحانه محبى القلوب

بنور الحكمة كما يحيى الأرض بوابل السماء ويقول الحسن : لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم .

وصية معاذ بن جبل رضي الله عنه :

ويقول معاذ بن جبل : « تعلموا العلم فإن في تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهادو تعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قرينة وهو الأنيس في الوحدة والصاحب في الخلوة والدليل على الدين والصبر على البأساء والضراء ، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم خير قادة سادة هداة يقتدى بهم ، أدلة في الخير ، تُقص ^(١) آثارهم ، يبلغ العبد به منازل الأبرار والدرجات العلى ، والتفكير فيه يعدل الصيام ومدارسته تعدل القيام ، به يطاع الله عز وجل وبه يعبد وبه يوحد ويمجد وبه توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام وهو إمام والعمل تابع له يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء .

كلماتهم أسمع في الأمة من الحكام :

قالوا : « صنفان إذا صلحا صلح سائر الناس وإذا فسد فسد سائر الناس ، العلماء والأمرء » وهؤلاء وأولئك هم أولوا الأمر منا ، وكلاهما يحرص على الاستقامة على أمر الله في علمه وحكمه ، وقد كانت كلمة العلماء في وقت مضى أسمع في الأمة من الحكام ، ففي محنة الإمام أحمد وأثناء سجنه أتاح تلميذه أبو سعيد يقول له : يا إمام قلها - أى وافق المأمون - فإن لك عيالاً فقال له الإمام : انظر من الشرفة ، فنظر أبو سعيد فوجد خلقاً كثيراً ، كلهم أمسك ورقة وقلماً يريد أن يكتب ما سيقوله الإمام ، فرجع يصف له المشهد ، فقال له الإمام : والله ما يكون لى أن أنجو بنفسى وأضل هؤلاء ، وكان أشبه

(١) نتبعها .

بالأمة وحده رحمه الله ، لقد صانوا العلم فرفعهم الله مكاناً علياً وكانوا هداة مهتدين . يُذكر أن أم الإمام أبي حنيفة رحمه الله أته وهو في حبسه فقالت له : يانعمان إن علماً ما أفادك غير الضرب لتحقيق أن تزهد فيه ، فقال لها : والله يا أمه لو أردت به الدنيا لوجدتها ولكني أردت أن أصون العلم فلم أعرض نفسي فيه للهلكة والعلم شريف ، من أراد به الدنيا وجدها ومن أراد به الآخرة وجدها .



نماذج من علاج المشاكل النفسية بمزيد من المشاكل

أولاً : كتاب كيف تحل مشكلاتك النفسية

للدكتور / طارق يوسف :

﴿ ١ ﴾ تحت عنوان « الخوف من الامتحان » ذكر المؤلف ص ١١ أن من صور العلاج الذهاب إلى السينما أو في نزهة مع بعض أصدقائه في الهواء الطلق أو المسرح على أن يكون ذلك مرة أسبوعياً على الأقل !! ولا يخفى عليك ما في التمثيل من حرمة وما في بعض الأفلام والمسرحيات من تهجم على معاني الدين وغيبة وكذب واختلاط وسهر في غير موضعه وفحش وتفحش وكل ذلك بزعم التمثيل .

﴿ ٢ ﴾ تحت عنوان « إدمان السجائر » قال المؤلف لصاحب المشكلة : أنت إنسان لك مقدرة ضخمة على ضبط النفس يحسدك عليها الكبار وأنا أعتقد لو أن رجلاً آخر غيرك بصقت عليه زوجته لأفرغ فيها مسدسه إن كان لديه مسدس أو لطردها من المنزل شر طردة ، ولكن أن تقول سامحك الله فهذا أمر غير معقول ! .

ولا أدري مع التسليم بفداحة جرم الزوجة كيف يكون العلاج في إطلاق مثل هذه العبارات الموهمة والتلاعب بالألفاظ على مثل هذا النحو بحيث تجعل السائل وغيره عرضة لحبل المشنقة وأين الكلام على إحسان اختيار الأزواج والنزول في ذلك على هدى رسول الله ﷺ والتدرج في علاج الخطأ والعوج بالنصيحة والهجر في المضطجع والضرب الغير مبرح » بفوطه أو سواك أو ماشابه ذلك مع تجنب الوجه والتقبيح « أو الطلاق إن

لزم الأمر ، وإلا فلا يجوز مواجهة الخطأ بالخطأ ولا المعصية بالمعصية وقد أمرنا أن نتقى الله فيمن لا يتقى الله فينا وإن نعدل فيمن جار علينا .

﴿ ٣ ﴾ تحت عنوان « حيرة الولاء لقيمتين متقاربتين » احتار المؤلف مع السائلة في حل الصراع بين رغبتها في الزواج من رجل مقتدر مالياً ورغبتها في العمل ، ولو أنه نظر للمشكلة بمنظار الشريعة ، وعلم ضوابط خروج المرأة من بيتها والتحذير من اختلاطها وتبرجها ، وأن السلامة لا يعد لها شيء ، وأن كثير من الأعمال لا تخلوا من محاذير شرعية ، وأن الدنيا لا تصلح عوضاً عن الدين لسهل حل المشكلة وخصوصاً والزوج مقتدر ، ومهمتها في تربية أولادها والقيام على شئون زوجها ومنع أسباب الفتنة عن نفسها وعن الآخرين لا يقل في القيمة عن عمل الزوج خارج البيت مع وضعنا في الحسبان احتياج المنزل لشغالة ، وضياح الأولاد وفقدان معاني الحنان ، ونفقة الراتب في المؤنات والمواصلات ... إلى غير ذلك مما هو واقع في حالة خروج المرأة للعمل .

﴿ ٤ ﴾ تحت عنوان « الاستمناء » ذكر المؤلف ١٠ وسائل للعلاج وكانت الوسيلة ٩ ممارسة أنشطة دينية !!! ولا ندري ما هي هذه الأنشطة الدينية التي يقصدها وكيف يؤخر الدين على مثل هذا النحو في العلاج ؟! وخصوصاً والكتاب عربي والكاتب أظنه مسلماً يخاطب مسلمين ، فما الذي يمنعه من التذكير بمعاني الدين والتخويف من عذاب الله والحث على مراقبة الله وتوضيح أن النفس لا يمكن أن تسعد إلا بطاعة الله وهذا لا يتعارض مع الرياضة أو القراءة ... للتخلص من هذه العادة السيئة المحرمة .

﴿ ٥ ﴾ تحت عنوان « الأحلام المفزعة » قال المؤلف فى علاج ذلك : قبل النوم يفضل أن تأخذى حمام ماء دافئ وكوب من اللبن الساخن وتسمعين قطعة موسيقية هادئة وتأكدى أنك سوف تنامين فى عمق ، فهل طالع المؤلف حكم الموسيقى ؟! فجملتها محرمة على قول جمهور العلماء ، سواء كانت هادئة أو صاخبة ، وقد وردت النصوص بمنعها ، وبالتالى فلا يجوز التداوى بمحرم ، وقد مر بك قول النبى ﷺ : « تداووا عباد الله ولا تتداووا بحرام » وقوله : « ما جعل الله شفاء أمتى فيما حرم عليها » ، ولو أنه دل السائل على أذكاء النوم ، والحرص على النوم على الشق الأيمن وإغلاق الباب ... وغير ذلك من السنن لكان المؤلف قد أجاد وأفاد .

وما ذكرناه إنما هى أمثله أردنا أن نبين بها كيف تزداد المشاكل حدة عندما ندأوى المرض بمرض آخر مما يكرس المشاكل حدة فى حياتنا . والكتاب كله بحاجة لعرضه على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ لتنقيته مما شيب به من مخالفات شرعية .



ثانياً : كتاب سبيلك إلى السعادة والنجاح

﴿ لسمير شيخاني ﴾ :

﴿ ١ ﴾ تحت عنوان « كيف تتغلب على الخوف » (٢٢ - ٢٧) ذكر المؤلف ص ٢٣ ما نصه : « أن الأعمال الكبرى تتطلب أن نتجنب بعناية هذا التصلب في وجهات النظر الذي يميز المتمسك بعقيدة أو بمبدأ ، فالفكر ينبغي أن يبقى متفتحاً قابلاً للتأثر ومرناً » أ . هـ ولا يخفى عليك أنها دعوة لأن يكون الإنسان زبقياً منافقاً في سبيل تحقيق المشاريع الكبرى ، ولا ندرى ماهي هذه المشاريع التي تستحق أن يبيع الإنسان دينه رخيصاً في سبيلها ، وألم يقرأ قوله تعالى ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) ﴾ ^(١) ، وغيرها من الآيات حتى يعلم أن الدنيا لا تصلح عوضاً عن معنى من معاني الدين ، وكأن المؤلف غفل عن معاني الإيمان بالله واليوم الآخر فلم يذكر ذلك ، ولو على سبيل الإشارة من بعيد للتغلب على الخوف ومن المعلوم أن الإنسان إن لم يخف الله ، خاف هو من كل شيء ، ولو قرأ سير المسلمين لعلم أنهم لم تكن ترهبهم صولة الباطل وذلك لأن خوفهم كان من الله وحده .

﴿ ٢ ﴾ تحت عنوان « كيف تتغلب على العقبات » ص ١٤٤ - ١٥٠

تكلم الكاتب عن أزمة السلوك في كل حياة وأن النتيجة ... اعتراف بمعتقداتنا التي ربما بقيت في الظل فترة طويلة ولكنها الآن أصبحت مستبدة نزاعة إلى السيطرة ، ولا أدري أي عقيدة هذه التي أصبحت مستبدة نزاعة إلى السيطرة ، هل هي العقيدة اليهودية المخرفة أو النصرانية المغيرة والمبدلة ، أو هي عقيدة

(١) سورة الكافرون الآيات « ١ ، ٢ » .

الحادية يقصدها ، أم أنه يعنى كل العقائد الحققة منها والباطلة ؟! وهل يُعتب على الإنسان إذا نظر للدين بمنظار الدين ، وعمل بإيمانه ، وطبق عقيدته فى كل نواحي الحياة إننا نتمنى أن يسيطر الإسلام على أفكار المسلمين ومشاعرهم وكل شئون حياتهم ، وفوق أن السعادة لن تتحقق إلا بذلك ، والمشاكل لا تعالج إلا بالرجوع للدين الذى رضىه لنا ربنا دينا ، قال الكاتب ص ١٤٦ :
عندما نتنهد بسبب مشكلتنا فإنها تصبح مضاعفة يوماً بعد يوم ، عندما نضحك من مشكلتنا فإنها تصبح فقاعة تطير بعيداً » أ . هـ ، ياليت المشكلة تنتهى بالضحك وبحيث ألا يتنهد الإنسان بسبب مشكلته ، ولكن كيف ذلك دون الرجوع لدين الله ، فالكافر يشاك بشوكة فيملاً الدين عويلاً وصياحاً ، وشأنه كشأن البعير عقله أهله ثم حلوه ، فلم يدر لم عقلوه ولم يدر لم حلوه ، أما بالنسبة للمسلم الذى يرجع لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ ويصبر ويحتسب الأجر عند الله ويسترجع ويتوكل على ربه ، ويقوم إلى صلاته ويتضرع إلى ربه ويدعوه وينظر لمن هو دونه فى الدنيا ... فلا يمكن أن تصمد أمامه المشكلة بإذن الله وعلى كل حال فكل إناء بما فيه ينضج والفارق كبير بين مسالك المؤمنين فى التغلب على العقبات وبين مسالك غيرهم .

ص ١٤٩ كتب يقول : أنت أيضاً يمكنك أن تعرف الشهرة « فهل الشهرة حققت سعادة حقيقية يوماً ؟! وهل بمقدورك حل المشكلات ؟! وأليست دعوة للرياء وغيره من آفات الشهرة ؟! وماذا يصنع إذن الأتقياء الأخفياء الذين يخفى أمرهم على أهل الأرض ويعرفون فى أهل السماء ؟! .

﴿ ٣ ﴾ تحت عنوان هل يمكنك أن تكون نجماً سينمائياً » طرح الكاتب عدة أسئلة حتى يتعرف القارئ أياها أن يكون مثلاً أو متفرجاً !! وهكذا تدار المسائل بعيداً عن أمر الخالق جل وعلا ، وإلا فالحلال ما أحل والحرام ما حرم

والدين ما شرع ، وليس لنا إلا أن نقول سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ، ولا نتمنى أبداً أن نكون ممثلين ولا متفرجين على مشاهد العرى والخلاعة والفحش والتفحش ، ولا نقبل لهذا النجم المذكور أن يصنع من نفسه شيطانا أو حماراً ... ولا يصلح أن يكون الممثل أسوة وقدوة للبشر أو بديلاً عن النجوم الحقيقيين الذين يقومون بدين الله وبه يعدلون ، ويصلحون في الأرض ولا يفسدون .

﴿٢﴾ تحت عنوان كيف تبدين في عيون الآخرين « طرح عدة أسئلة مثل : (*) هل تطيبين بالعطرك كل يوم ؟ (*) هل تنظرين في مرآة كبيرة يبدو فيها جسمك كله ، قبل خروجك من المنزل لتأكدي من مظهرك ؟ (*) هل تستعملين مرآة مكبرة أثناء القيام بوضع المساحيق على وجهك ؟ (*) هل تحددين دائماً خط حاجبيك ؟ (*) هل تحاولين التوفيق بين لون أحمر الشفاه الذي تستعملينه وطلاء الأظافر ولون الثوب الذي ترتدينه ؟ .

إن أسئلة الكاتب دعوة للتحلل والانحراف ، وبحيث تصبح المرأة فتنة لنفسها ولغيرها ، فما ترك النبي ﷺ فتنة أضر على الرجال من النساء ، ويين أن أول فتنة بنى إسرائيل كانت في النساء ولا ننكر أن المرأة تميل للتجمل والتحلى ﴿أَوْ مَنْ يَنْشَوُ فِي الْحَلِيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ (١) ، ولكن يجوز لها إبراز زينتها للرجال الأجانب ، ولا يصح أن تتزين بإزالة شعر الحواجب أو بوضع الباروكة أو بطلاء الأظافر الذي لا يصح معه الوضوء ، أو أن يتم ذلك بوسائل يستتبعها مضرة ببشرتها .

﴿٥﴾ تحت عنوان أسرار الوجوه « ذكر الكاتب ص ٣١٢ » : إن سلامة نية أصحاب الوجه البيضاء وطيب سريرتهم يوقعان بهم في مشاكل معقدة لأنهم غالباً لا يفرقون بين الصديق والعدو قال : وأنصحهم أن يسيئوا الظن قليلاً بالناس لأن فيهم الطيب والخبيث المخادع « وبئست النصيحة ، وبئس الكاتب الذى يمتلى بمثل هذه المخالفات الشرعية ، من أوله إلى آخره ، وما ذكرت أنا إلا بعض النماذج والأمثلة ، لقد كان يسعه أن يقول لأصحاب الوجه البيضاء خذوا حذركم مع أعدائكم ، أو لا تفرطوا فى الأخذ بالأسباب الشرعية وتوكلوا على الله ، أما أن يتصادم مع شرع فينصحهم أن يسيئوا الظن قليلاً !! والله يقول إن بعض الظن إثم ، ثم ما هو حد القليل الذى ذكره ؟! إنها الجهالة بالشرع والواقع ، ودفع الناس لمزيد من المشاكل بزعم علاج المشاكل ، وإلا فالأصل فى الناس البراءة لا الإتهام ، وقد أمرنا أن نقبل من الناس علانيتهم ونكل سريرتهم لله هو يتولى السرائر ، ونحسن الظن بالناس ونسى الظن بأنفسنا ، بل لو خدعنا إنسان بالله انخدعنا له ، وقد دل على ذلك نصوص الشريعة ونطقت بذلك أقوال علماء الأمة المعبرين .



ثالثاً : كتاب «أتح لنفسك فرصة»

﴿ لمؤلفه / جوردون بايرون ﴾ :

﴿ ١ ﴾ تحت عنوان اختبار نفسك ص ٢٠ ذكر المؤلف عدة أسئلة من أجاب عليها بنعم حاز الدرجة كاملة ، ومنها :

هل أنا خصب الخيال ، واسع الحيلة ؟ ولا يخفى عليك الفارق بين المسلم وبين الرجل الخيالي الذي يعيش على الخزعبلات والأساطير ، أو يحتال للوصول لغرضه حتى ولو كان ثعباناً يعيش بالمذهب المكيافيللي « الغاية تبرر الوسيلة » .

﴿ ٢ ﴾ هل أنا رياضي الروح ؟ ولا تخلوا الرياضة من عنصر نسائي ومساج وعرى وكشف للعورات وانحناءة على سبيل التحية... إلى غير ذلك من المخالفات ^(١) ، فالضابط عندنا هو معاني الإيمان لا الروح الرياضية .

﴿ ٣ ﴾ هل أقدر الفنون الجميلة ؟ هل أقدر الموسيقى ؟ هل أساير الأدب ؟ ^(٢) ، هل يرسب الإنسان أو لا يحوز الدرجة إذا كان لا يُقدّر فنون الضياع كالرقص والبالية ونحت الأصنام ، ولا يساير الأدب المكشوف والأدب الغريزي وأدب الجنس ؟!!! .

تحت عنوان كيف تكتسب الشخصية الجذابة « ص ٥٨ » ذكر المؤلف هذه المميزات وبدأها بالصحة فقال : « الذي أوتى الصحة يؤتى الأمل ، والذي يؤتى الأمل يؤتى كل شيء » هذا قول مأثور ولا تفتقر صحته إلى دليل « هكذا نقل المؤلف .

(١) راجع كتابي « ضوابط شرعية للألعاب الرياضية » من مطبوعات دار الإيمان .

(٢) راجع كتابي « الشهرة وعالم الأضواء » وكتاب « رسالة لأهل الفن » من مطبوعات دار الإيمان .

ولا يخفى علينا أن الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يشعر بها إلا المرضى ، ولكن ما معنى الأمل هنا ولا ندرى كيف يؤتى به كل شيء ؟! وهل من افتقد الصحة يضيع ويكتئب مثلاً ؟! ، إن المسلم الذى يؤمن بقضاء الله وقدره ، ويرضى بحكم الله ، تطيب نفسه وينشرح صدره ثم هو مدعو لتقصير الأمل وأن يعد نفسه من أهل القبور ، وأن يرتحل طلباً لما عند الله ، ﴿ وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ (٤) ﴿ (١) ، ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ (١٧) ﴿ (٢) ، وكما قالوا أنت من التراب وإلى التراب تعود ، أنت اليوم حى وغداً ميت .

﴿ ٤ ﴾ تحت عنوان « كيف تنجح فى عملك » كتب يقول ص ١٤٧ :

« لا تقبل العمل كمنحة أبداً ، وإنما بع خدماتك ، وبأقصى ما تستطيع من ثمن للفرد أو الهيئة التى تظن أنها تفيد منك » وواضح أنها دعوة مادية طاغية لا تنطوى على إيثار أو تبادل أو طلب الأجر من الله ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا نُنْطَعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (٣) ، وقال : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَفَهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٤) ، كان يسعه أن ينصح باستيفاء الأجر بالحق والعدل لا بأقصى ما تستطيع من ثمن ، ولو قال عليك بالرفق والشفقة والتعامل مع الله ومراقبته سبحانه لكان أولى وأحرى به ، ولكن ماذا نصنع وقد تصدر البعض لحل المشاكل بلا أدوات ولا أهلية ، وانبهر الناس بالألقاب والمناصب ، وسيطرت عقدة الخواجه على فريق من الناس ، وقد ورد فى الحديث : « إن من أشراط الساعة أن تُلتمس العلم عن الأصاغر » ، قال ابن المبارك رحمه الله : الأصاغر هم أهل البدع ، فنسأل الله تعالى أن يفقهنا فى ديننا حتى نكون هداة مهتدين .

(٢) سورة الأعلى الآية « ١٧ » .

(٤) سورة الحشر الآية « ٩ » .

(١) سورة الضحى الآية « ٤ » .

(٣) سورة الإنسان الآية « ٩ » .

تنوع أحوال الناس في مواجهة المشاكل النفسية

عندما يواجه الناس عقبة أو مشكلة فمنهم :

﴿١﴾ من يمضى فى التفكير والتقدير وبذل الجهد للخروج من المأزق مستعيناً بالله تعالى ، أى أنه يأخذ بالأسباب الشرعية ويتوكل على ربه ، فيكون راضياً عن الله فى عسره ويسره وهذا شأن المستبصرين بشرع الله ، فيقدمون الشرع على العقل عند المعارضة ، وقد ذكر ابن تيمية أنه لا تعارض بين نص صحيح وبين عقل صريح ، فإذا وجد التعارض فإما أن يكون النص غير صحيح وأما أن يكون العقل غير صريح .

﴿٢﴾ ومنهم من يسارع إلى الاستسلام والتخاذل على الفور فى مواجهة المشكلة .

﴿٣﴾ ومنهم من يضطرب ويختل ميزانه بعد محاولات تطول أو تقصر ، فإذا به أصبح نهباً للغضب أو الذعر أو الخزي وغير ذلك من المشاعر التى تنجم عن الفشل والإخفاق ، وهذه حالة كثير من الناس فى المدينة المعاصرة !! .

وقد ذكر د / رمضان حافظ صاحب كتاب « عصر الأزمات النفسية » أن التفكير المثمر الذى يأتى بنتائج إيجابية حىال أى مشكلة أو أزمة له شروط وهى :

- أن يلزم الفرد جانب الروية والهدوء .
- النظر الفاحصة الشاملة الموضوعية للمشكلة من كل جوانبها .
- تحليل عناصر المشكلة « السارة وغير السارة » .

- وزن كل عنصر وتحليله على حدة من غير تهور واندفاع .
- ألا يخذع المرء نفسه بأن يغض من خطورة المشكلة .
- ألا يتعامى عن عيوبه الخاصة ونواحي ضعفه .
- ألا يفخم من قدراته وإمكاناته ... أى يكون أميناً واقعياً فى تفكيره .
- مضاعفة الجهود وتحصيل المعلومات الضرورية وكسب مهارات جديدة .
- طلب النصح والتعاون مع الغير .
- طرح المشكلة وجوانبها كتابة وطرح مزايا وعيوب الحلول المقترحة للحل فى خلال عدة أيام أو أسابيع لعمل الموازنة الإجمالية ^(١) .
- توقع أسوأ ما يمكن أن يحدث وتقبله مهما كان .
- حاول أن تنقذ ما يمكن انقاذه .
- ابدأ فى تنفيذ أفضل الحلول خطوة بخطوة بتأنى وروية .
- بعض المشكلات يستحسن أرجائها أو تأجيل اشباع بعض دوافعها حتى تحين فرصة مواتية . أ . هـ .

إن الإنسان بحاجة إلى أن ينظر إلى المشكلة كما لو كان غيره هو الذى يواجه تلك المشكلة ، وأن يستصحب الضوابط الشرعية حتى يتحقق له التوازن والاعتدال وعلو الهمة والنظر لمن هو دونه فى الدنيا ولمن هو فوقه فى الدين .

أقول : لو بدأ كل واحد بنفسه واستطاع أن يتغلب على مشكلته ويرد الحقوق لأصحابها لو فعلنا ذلك لاختفى وانتهى الكثير من المشاكل فى حياتنا ، فالله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(١) هذا إذا احتمل الأمر وإلا فعمل من باب ما لا يدرك كله لا يترك جله ونستنفذ ما نستطيع استنقاذه فى الحال اعتذاراً للنفس بين يدي الله ، وما خاب من استخار الخالق واتشار المخلوق .

الخاتمة

زادت نسبة المشاكل المستعصية وصار شأنها كشأن كثير من الأمراض ، رغم إدعاءات التطور والتحضر والتقدم ، فما زالت مشاكل المسلمين في فلسطين والبوسة والشيشان وبورما وكشمير رغم كثرة المسلمين ووجود الأمم المتحدة ومنظمات حقوق الإنسان ، وانتشار ظواهر العنف والتدخين والمخدرات حتى وسط الصغار والنساء وفي مصر وحدها ٦ مليون حالة طلاق ... لقد جهلنا الكثير من الداء والدواء ، ولا سبب لذلك إلا الانحراف عن منهج الله تعالى ، وأعظم داء هو الكفر بالله تعالى وأعظم دواء هو الإيمان بالله جل وعلا ، وفي الحديث : « ما أنزل الله من داء إلا أنزل له دواء » ، وفي الحديث : « لكل داء دواء وإذا أصاب الدواء الداء برئ منه بإذن الله تعالى » ^(١) . وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله أنزل الداء والدواء ، وجعل لكل داء دواءً فتداووا ولا تداووا بالحرَم » ^(٢) .

فلما هجرنا شرع ربنا صرنا كحالة أهل الجاهلية الأولى ، حروب وثورات ومشاكل أخلاقية وتقطيع لما أمر الله به أن يوصل ، حتى صار العصر هو عصر الأزمات النفسية ، وكثرة المشاكل في شتى شؤون الحياة وعلى كل المستويات ، ونذر أن تجد حلاً حقيقياً لمشكلة من هذه المشاكل ، والناظر في حياة سلفنا الصالح سيجد البون شاسع بين المشاكل التي تؤرقنا اليوم وبين ما كان يشغلهم بالأمس ، فقد كان همهم هو مرضاة الله والعمل بطاعته سبحانه والخوف من معصيته ، والحياء من الله ، لم يكن همهم في الدرهم والدينار ، وإنما كان همماً واحداً هو هم الآخرة ، ثم تشعبت بنا الهموم فلم يبال الله في أى أودية الدنيا

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه أبو داود في سننه .

تكون هلكتنا ، وفى حديث حذيفة رضي الله عنه قال : « قلت يا رسول الله إنا كنا أهل جاهلية وشر فجأنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ، قال : نعم ... » ^(١) . وفيه بين النبي ﷺ أن هذا الشر يتمثل فى أناس يستنون بغير سنته ﷺ ويهتدون بغير هديه ، وفى دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها فقفوه فيها ، والشر المذكور عنوان لمشاكل كثيرة ، نعانى منها نتيجة البعد عن كتاب الله وعن سنة رسول الله ﷺ فما أحوجنا اليوم وحتى نلقى ربنا للرجوع لهذا المنهج الربانى ففيه علاج وحل لكل المشاكل التى نئن منها البشرية فمن كان مع الله كان الله معه ، ومن حفظ أمر الله حفظه الله فى الدنيا والآخرة ، ومن ضيع حقوق ربه فهو لما سواها أضيع ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ ^(٢) ، وكما قال البعض : فى القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس به ، وفيه حزن لا يذهب به إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته ، وفيه قلق لا يسكنه إلا الفرار إليه ، وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه ودوام ذكره وصدق الإخلاص له ولو أعطى الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة أبداً ، إن البشرية لن تستطيع حل مشاكلها إلا بتوقير مصدر الأمر ، وأن تكون طوع اشارة ورهن أمر كحالة نبي الله نوح عليه السلام فقد صنع السفينة فى الصحراء على الأرض اليابسة وهى يعلم مجريها ومرسها وترك نبي الله إبراهيم هاجر وولده الوحيد اسماعيل فى مكة وهو يومئذ لا أنيس فيها إلا الوحوش والسباع ، وهو يعلم أن الله لا يضيع أوليائه ، وامثلت أم موسى عليها السلام لأمر ربها ﴿ فَإِذَا خِفْتُ عَلَيْهِ فَأَلْقَيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنْ

(١) رواه البخارى .

(٢) سورة التوبة « ٦٧ »

الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴿١﴾ . فما خابت ولا شقيت بطاعتها لربها ، إن خبراء حل المشاكل اليوم بحاجة لمن يحل لهم مشاكلهم ، وقد زادوا الطين بلة لفقدانهم البصيرة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ ﴿٢﴾ . وتغيير النفس يبدأ بإسلام الوجه لله ، والتوبة النصوح ورد الحقوق لأصحابها ، وأن نصلح ما بيننا وبين الله حتى يصلح ما بيننا وبين الخلق والكون من حولنا ، وأن نعلم أن ذلك لن يتم إلا بالاستعانة بالله والتوكل عليه والإنابة إليه سبحانه ، لقد تقدمنا قوم سعداء وسعدت بهم الدينا ، لما كان تعاملهم مع الله ومع النفس ومع الأصدقاء والأعداء - فى الحرب والسلام فى السياسة والاقتصاد - وفق شرع الله تعالى ، دانت لهم الدنيا ورفعهم الله مكاناً عليا ، وغير لهم وجه الأرض ، كان عمر يتمنى ملئ داره رجالاً كأمثال أبى عبيدة يقيم بهم أمر الله ، وكان الثانى يتمنى الشهادة فى سبيل الله ، والثالث يتمنى مالاً ينفقه فى سبيل الله ... وهكذا كانت طموحاتهم تقرب من رضوان الله ، كانت هند بنت عتبة تحمل معاوية فى حجرها - رضى الله عنهما - إذ دخل عليها أحد أقاربها فقال لها : إن عاش معاوية ساد قومه ، فقالت : ثكلته أمه إن لم يسد غير قومه ، فكان معاوية أعظم ملوك المسلمين كما يقول ابن كثير ، يحكم مملكة إسلامية تمتد حدودها شرقاً إلى إيران وغرباً إلى مصر ، وهو القائل : « إن كان بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت ، قالوا : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : إن أرخوا جذبتها وإن جذبوها أرختها » .

ولا بأس أن يقسم علماء النفس الاجتماعى المشاكل إلى مشاكل أسرية ومدرسية واقتصادية وعملية وطفولية ومشاكل الضعف العقلى والعجز ، والعاهة والمرض العقلى والنفسى وغيره ومشاكل الانحراف والجريمة ، ولا بأس أيضاً أن

(١) سورة القصص الآية « ٧ » .

(٢) سورة الرعد الآية « ١١ » .

يرجعوا أسباب حدوثها إلى أسباب ذاتية أكثر منها بيئية كالعصبية الزائد للطالب ، أو أسباب بيئية أكثر منها ذاتية مثل المرأة التى هدم بيتها وتوفى زوجها مما نشأ عنه عجز فى سد احتياجات الأسرة الاقتصادية ، وإن كان الأول لا يمنع من وجود أسباب بيئية كالتفرقة فى المعاملة ، والثانى لا يمنع من تأثير العوامل الذاتية كضعف قدرة المرأة الجسمية على العمل ، وهناك مشكلات ترجع إلى عوامل ذاتية وبيئية مثل وجود التفكك الأسرى ووجود أصدقاء السوء بالإضافة إلى عنصر التكوين النفسى نقول لا بأس بذلك كله كما لا بأس أيضاً بقيام المتخصصين فى شتى فروع العلم بواجبهم فى علاج مشاكل الحياة ، ولكن الحرج فى انسلاخ هؤلاء عن دين الله ومصادمتهم لشرع الله مما يجعلنا نقطع بأنهم سيزيدون الحياة مشاكل وشرأ وسوءاً .

فيا قومنا أجيئوا داعى الله ، وآمنو به ، اللهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا وأصلح لنا دنيانا التى فيها معاشنا وأصلح لنا آخرانا التى إليها معادنا واجعل الحياة زيادة لنا من كل خير واجعل الموت راحة لنا من كل شر .

اللهم أصلح لى شأنى كله ، ولا تكلنى إلى نفسى طرفه عين ولا تكلنى إلى أحد من خلقك ، وصل اللهم وسلم وبارك على عبدك ونبيك محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين .

**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك . أشهد أن لا إله إلا أنت
أستغفرک وأتوب إليك .**

كتبه

سعيد عبد العظيم

الأسكندرية في ٢٥ من ربيع الأول ١٤١٩هـ

الأسكندرية في ١٩ يوليو ١٩٩٨م

الفهرس

رقم الصفحة

- ٥ مقدمة .
- أولاً : إخبار الصادق المصدق عليه السلام عن تفاقم المشاكل وكثرة
- ١٠ الفتن وهي من دلائل نبوته عليه السلام .
- ١٠ • ظهور الفتن
- ١٢ • ظهور مدعى النبوة
- ١٣ • الخسف والقذف وكثرة الزلازل
- ١٤ • تداعى الأمم علينا
- ١٥ • ظهور الكاسيات العاريات والجلادين والظلمة
- ١٦ • انتشار الزنا والربا
- ١٧ • ضياع الأمانة وارتفاع الأسافل
- ١٨ • إخراج الأرض كنوزها الخبوءة
- ٢١ • ظهور المعازف وكثرة شرب الخمر واستحلال ذلك
- ٢٢ • تقارب الزمان والأسواق
- ٢٣ • كثرة القتل
- ٢٥ • ظهور الشرك فى هذه الأمة
- ٢٦ • ظهور الفحش وقطيعة الرحم وسوء الجوار
- ٢٨ • تشبب المشيخة
- ٢٨ • كثرة الشح

- ٢٩ • كثرة التجارة ومشاركة المرأة للرجل فيه
- ٣٠ • تمنى الموت من شدة البلاء
- ٣١ • كثرة النساء وقلة الرجال
- ٣٢ • كثرة شهادة الزور ووقوع التناكر
- ٣٦ • **ثانياً :** ميزان وضابط لعلاج المشاكل
- **ثالثاً :** بعض خصائص وسمات الإسلام وهو الذى ارتضاه سبحانه
٣٦ للعالمين
- ٤٠ • الربانية
- ٤٥ • الشمول
- ٤٩ • العموم
- ٥٢ • الإسلام دين الواقعية كما أنه دين المثالية
- ٥٩ • **رابعاً :** بعض سمات الشخصية المطلوبة لمواجهة المشكلات
- ٦١ • **خامساً :** هدى القرآن فى حل بعض المشاكل العالمية
- ٦١ • المشكلة الأولى : ضعف المسلمين فى أقطار الدنيا
- المشكلة الثانية : تسلط الكفار على المؤمنين بالقتل
٦٣ والجراح وأنواع الإيذاء
- المشكلة الثالثة : اختلاف القلوب من أعظم الأسباب فى
٦٤ القضاء على كيان الأمة
- ٦٧ • **سادساً :** مشاكل تفاوتت الانتظار والمناهج فى علاجها
- ٦٧ • **﴿١﴾** هل نعالج المشكلات الاقتصادية بتحديد النسل ؟
- ٦٨ • العلاج كما ورد فى الكتاب والسنة
- ٦٩ • أثر المعاصى فى تدمير الاقتصاد

- ٦٩ الطاعات من أعظم أسباب الرخاء .
- ٧٠ شروط لابد فيها لتجوز تحديد النسل .
- ٧٣ ﴿٢﴾ إشكالية تربية الأولاد وأزمة الجيل الناشئ .
- ٧٣ عققناهم صغاراً فعقونا كباراً .
- ٧٤ • لا بورك في دنيا تأتي على حساب الدين .
- ٧٤ • الولد من سعى والديه وكسبهما .
- ٧٥ • بعض أسباب صلاح الأنباء .
- ٧٨ • دور المربي الصالح .
- ٧٩ • مخاطر عظيمة تهدد صغارنا .
- ٨٠ ﴿٣﴾ مكنم الداء في معظم مشاكل الزواج :
- ٨١ • رفع الأمانة من القلوب .
- ٨٢ • ماذا تصنع الفتاة إذا أراد الولي تضييعها .
- ٨٣ ﴿٤﴾ طريقة فض الخصومات والمشاحنات والمنازعات .
- ٨٣ • للمسلم شأن وللناس شأن .
- ٨٥ • رد حكم ما تنازعنا فيه لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .
- ٨٦ • نصائح غالية تصلك بالناس .
- ﴿٥﴾ التخصصات انفصلت عن معاني الإيمان فزادت
- ٨٨ المشاكل حده .
- ٨٨ • انقسامات مربية .
- ٨٩ • أصبحنا نعيش بوجهين وبمفهومين .
- ٨٩ • ساعة لربك وساعة لنفسك تبريراً للمعاصي والفجور .
- ٨٩ • الكفر بالله للحاق بركب الحضارة والتقدم .
- ٩٢ • مدرس أشبه بلوحة نخرة .

- ٩٣ • نحتاج طبيباً مسلماً .
- ٩٣ • رسالة للأديب والمفكر والشاعر .
- ٩٥ • سابعاً : أين البركة .
- ٩٦ • كانوا فرساناً بالنهار رهباناً بالليل .
- ٩٧ • مظاهر قلة البركة .
- ٩٨ • البركة تتناقص من جيل إلى جيل .
- ١٠٠ • البركة المنزوعة ترد قرب قيام الساعة .
- ١٠٢ • تعطلت المصالح والمنافع في ظل الطغيان المادى .
- ١٠٣ • كيف نفسر زيادة العمر والرزق .
- ١٠٦ • أدعية نافعة لحصول البركة .
- ١٠٨ • الاستخفاف بمعانى الصبر والاستضعاف .
- ١١١ • ولكنكم تستعجلون .
- ١١٥ • تخفيف منابع الإسلام وكيف تكون المواجهة .
- ١١٦ • سلفية الفكر عصرية المواجهة وخطأ من ينادى بذلك .
- ١١٩ • قصة لا تعرف لها الأرض نظيراً .
- ١٢٥ • ثامناً : نماذج من علاج المشاكل النفسية بمزيد من المشاكل .
- ١٢٥ • (١) كتاب كيف نحل مشكلات النفسية .
- ١٢٨ • (٢) كتاب سبيلك إلى اسعادة والنجاح .
- ١٣٢ • (٣) كتاب أتح لنفسك فرصة .
- ١٣٤ • تاسعاً : تنوع أحوال الناس فى مواجهة المشاكل النفسية .
- ١٣٦ • الخاتمة .
- ١٤٠ • الفهرس .

من أحدث مطبوعات دار الإيمان

كَيْفَ نَنَالُ

السَّعَادَةَ الْحَقِيقِيَّةَ

بقلم
سَعِيدُ عَبْدِ الْعَظِيمِ
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

دار الإيمان
للطباعة والنشر والتوزيع
بمسقط ٥٤٥٧٦٩

دار القيمة
للتنزيل الكتاب والتوزيع والتسويق
بمسقط ٥٤٥٧٦٩ هاتف: ٥٤٤٦٤٩٦